دور المرأة في بناء المجتمع

٥١

مؤسسة البلاغ

دَوْرُ المرأة

في بناءِ المجتمع

مفاهيم اسلامية

٥١

دور المرأة في بناء المجتمع

مؤسسة البلاغ

* دور المرأة في بناء المجتمع

تأليف ونشر: لجنة التأليف ـ مؤسسة البلاغ.

الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

عدد النسخ: ٢٠٠٠٠ نسخة.

المطبعة: صدر.

الترجمة جائزة للجميع بعد عرضها على المؤسسة.

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ص . ب ١٩٧٧ / ١٩٣٩٥ .

P. O. BOX: 1977/ 19395. ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

I.S.B.N.	964	402	024	3

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

لم يكن المجتمع الانساني يوماً من الأيّام في غنى عن المرأة، وهي تشكّل نصف وجوده أو ما يزيد، ومن سبر غور التاريخ البشريّ يرىٰ أنّ للمرأة حتّىٰ في أكثر الأدوار التاريخيّة تخلّفاً دوراً خطيراً وإن اختفىٰ هذا الدور في الظل أو غاب عن الأنظار.

ولئن اتّجهت الحضارات الحديثة إلى التأكيد على دور المرأة ورفع شعار المحافظة على حقوقها ـ وإن كان بصورة شكليّة ـ فإنّ الاسلام ومنذ انطلاقته الأُولىٰ دعا إلى أن تأخذ المرأة دورها في الحياة وتتحمّل مسؤوليّتها في بناء الحضارة الانسانيّة.

قال تعالىٰ:

﴿ فاستجابَ لهم ربّهم أنّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثىٰ بعضكم من بعض... ﴾. (آل عمران / ١٩٥)

وإذ كانت المرأة في مجتمع الجاهليّة كمّاً مهملاً يرزح تحت قيم العار والدونيّة، فإنّها عادت في مجتمع الاسلام شخصيّة تكون في معارجها

القدوة والأُسوة لسائر المؤمنين، وشهد التاريخ الاسلاميّ أدواراً هامّة لشخصيّات نسائيّة بارزة كأُم المؤمنين خديجة وسيِّدة النساء فاطمة (ع).

وربّما شهدت القرون الأخيرة بسبب الجهل الذي طرأ على بعض بلاد المسلمين كغيرها من بلاد العالم انحساراً للمرأة عن دورها الطليعي وتلكّؤاً في مسيرتها التكاملية، ممّا يدعو إلى ضرورة استثارة واستذكار المفاهيم والتصوّرات الاسلاميّة المتعلِّقة بها، فإنّ في اكتساب المرأة لدورها المناسب في الحياة مساهمة كبرىٰ في نهضة المجتمع ونموّه.

ولا شكّ بأنّ هذا الدور يختلف عن الواقع الذي تعيشه المرأة في المجتمعات المادية والذي سلب من المرأة كرامتها وشخصيّتها وأراد لها أن تكون سلعة إعلاميّة وتجاريّة ولعبة يعبث بها أصحاب المال والأهواء، لتفقد المرأة أخيراً أنوثتها وأمومتها وسموّ فكرها ورقّة عاطفتها، ولم تحصد ذلك سوى الجريمة والعزلة واليأس والعنف ومآسي العائلة المتفكِّكة.

والبحث الذي بين يديك قارءنا الكريم إطلالة على دور المرأة ومهامها في المجتمع في النظريّة الاسلاميّة، راجين أن ينال اهتمامك وعنايتك.

والحمد لله ربّ العالمين.

مؤسّسة البلاغ

تعريف المجتمع

المجتمع: هو تلك الهيئة الانسانية المكوّنة من أفراد تربط بينهم روابط عقيديّة ومصالح حيويّة محدّدة.

وإذا كان هذا هو تعريف المجتمع بصورة عامّة، فانّ المجتمع الاسلامي هو المجتمع الذي تبنىٰ فيه الروابط والعلاقات وتنظّم المصالح فيه على أساس الاسلام.

ويمكننا أن نعرِّف المجتمع الاسلامي بأنّه: «كل جماعة سياسية مستقرّة في بقعة من الأرض تؤمن بالاسلام، وتقيم علاقاتها ونظام حياتها على أساس الاسلام». فالمجتمع الاسلامي مجتمع عقائدي له خصائصه وصفاته المميّزة له عن غيره من المجتمعات، فهو مجتمع يتميّز بأفكاره وقيمه وأخلاقه وقوانيه ونظم حياته وسلوكه وأعرافه.

ولقد لخّص القرآن الكريم تلك الصفات والميّزات بقوله:

﴿صِبغَةَ اللهِ ومَن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾.

(البقرة / ١٣٨)

أسباب نشوء الحياة الاجتماعية

من القضايا الأساسية التي لا بدّ من دراستها وبحثها وتحليلها تحليلاً علميّاً، هي مسألة نشوء المجتمع والحياة الاجتماعية بما فيها من تعقيدات وتركيب وعلائق، ومعرفة دوافعها وأسبابها.

ولكي نتعرّف على النظرية الاسلامية في نشوء المجتمع وتكوّن الحياة الاجتماعية، فلنقرأ ما ورد من آيات تحدّثت عن مسألة الاجتماع ودعت الى بناء المجتمع الانساني وصياغة حياة الفرد ضمن التشكيل الاجتماعي العام على أُسس ومبادئ راسخة وثابتة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنّ أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم﴾. (الحجرات / ١١٣)

وقوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون﴾. (الروم/٢١)

وقوله سبحانه: ﴿أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذبعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون﴾. (الزخرف / ٣٢)

إنّ دراسة وتحليل هذه الآيات تشخّص لنا دوافع وأسباب نشوء المجتمع، وتلك الأسباب هي:

١ ـ العنصر الأساس في البناء الاجتماعي هو قانون الزوجيّة

الطبيعي العام المتمثّل في التركيب الغريزي للمرأة والرّجل، فهما عنصرا البناء الاجتماعي وأساس البنية الحيوية من الناحيتين العضويّة والنفسيّة.

انّ هذه العلاقة الغريزيّة التي تسعىٰ غائيّاً لحفظ النوع وتدفع بالجنس بدافع اللّذّة والمتعة، تقوم في جانبها النفسيّ والانساني على أساس الودّ والرحمة وتوفير الطمأنينة (السكن).

وبذا اعتبر القرآن المرأة قاعدة السكن، عبر الاستقرار النفسي والاجتماعي للرّجل والحياة الاجتماعية بأسرها، ذلك لأنّ الاشباع النفسي من حب الجنس الآخر والغريزي الجسدي منه ينتج عنه افراغ حالة التوتّر النفسي والعصبي وملء الفراغ النفسي وتصريف الطاقة الغريزية والنفسية لتحقيق مبدأ الاتزان لدى الجنسين القائم على أساس التكامل من خلال قانون الزوجيّة الكوني العام.

من هنا تتحدّد مسؤوليّتها الكبرىٰ في بناء المجتمع السوي السليم نفسيّاً واجتماعيّاً ووظيفيّاً؛ لأنّها مصدر السكن والودّ والحنان والرحمة في الحياة الاجتماعية.

٢ ـ التعارف: أمّا الدافع الثاني الذي دفع الانسان لتكوين الحياة الاجتماعية، فهو عنصر التعارف بين أبناء النوع البشريّ القائم علىٰ أساس غريزة حب الاجتماع التي عبّر عنها الفلاسفة بقولهم: «الانسان مدنيّ بالطّبع».

فقد أثبتت التجارب النفسية والاجتماعية أنّ الانسان لا يشعر

بالاستقرار والراحة، ولا تكتمل انسانيّته إلّا بالاجتماع، وبالعيش مع الآخرين، فهو يشعر بحاجة نفسيّة ماسّة وعميقة إلى الآخرين، لذلك قال تعالى: ﴿لتعارفوا﴾، فعبارة التعارف تعبِّر عن الدافع الانساني الكامن وراء الاجتماع، وتكوين المجتمع البشري.

٣ ـ تبادل المنافع: والسّبب الثالث من أسباب بناء المجتمع، هو تبادل المنافع المادية المختلفة، فقد شاء الله سبحانه أن يتكامل الأفراد بقابليّاتهم وطاقاتهم الفكرية والجسدية والنفسية، ويتحقّق هذا التكامل عن طريق تبادل المنافع بين الأفراد.

فللفرد حاجات ومتطلّبات متعدِّدة، ليس بوسعه أن يوفّرها جميعها لنفسه؛ لذا فهو يحتاج الآخرين ويحتاجونه، وهذا الاختلاف في القابليّات الذي ينتج عنه الاختلاف في نوع الانتاج والخدمات التي يستطيع أن يوفّرها الفرد للآخرين، وتبادل تلك المنتجات والمنافع والخدمات لإشباع الحاجات هو الّذي عبّر عنه القرآن بقوله: ﴿ورفعنا بعضهم فوقَ بعضٍ درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً﴾[1].

وعلى هذا الأساس نشأت الوظيفة الاجتماعية، وفسّر مبدأ النشوء الوظيفي في المجتمع لتتكامل الحياة كما تتكامل أجهزة البدن في أداء وظائفها.

وهكذا يوضِّح القرآن دوافع نشوء المجتمع، الانسانية والمادية، وفي

---

(١) قال الطبرسي في مجمع البيان مفسّراً هذه الآية: «... يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام العالم».

كلّ هذه العناصر يبرز دور المـرأة واضحاً وأساسيّاً، سواء في جـانبه المادي أو النفسي أو الوظيفي في الحياة الاجتماعية. فهي الجزء الأكبر من المجتـمع، فانّ الاحصـائية السـكانية تفيـد أنّ عدد الأُناث في المجتمع البشري يزيد علىٰ عدد الذكور.

وانطلاقاً من نظرية التكامل الوظيفي التي وضّحها القرآن آنـفاً في المجتمع، يُدرس دور المرأة في بناء المجتمع كما يُدرس دور الرّجل علىٰ حدٍّ سواء ضمن أطر الأهداف والقيم الاسلامية. وليست المرأة عنصراً ثانويّاً ولا وجوداً اضافيّاً على الرغم من التجربة البشرية التي تثبت أنّ دور الرّجل في بناء العلم والاقتصاد يتفوّق كثيراً على دور المرأة ، كما أنّ دورها في تكوين القاعدة النفسية لبناء الأُسرة أكبر من دور الرّجل الذي عبّر عنه القرآن بقوله: ﴿وخلق مـنها زوجـها ليسكـن اليهـا﴾، فالزوج هو الذي يسكن الى الزوجة، ويستقرّ بالعيش معها، فهي مركز الاستقطاب واطار الاستقرار والودّ والمحبّة.

ويتحدّث القرآن عن (السكن) في مواضع عديدة، ومن خلال ذلك نستطيع أن نفهم معناه الذي توفّره الزوجة لزوجها، نفهمه من خلال قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾ وقوله: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾.

ونفهم قيمة (السكن) في الاجتماع عندما نعرف أنّ القرآن وصـف العلاقة بين الزّوج والزّوجة بأنّها علاقة (سكن وودّ ورحمة).

وإذاً فلنقرأ كلمة (سكن) في مواضع عدّة من القرآن، لنعرف دلالتها

الاجتماعية والأُسريّة، قال تعالى: ﴿جعل لكم اللّيل سكناً﴾ أي يسكن فيه النّاس سكون الرّاحة.[1] وقال تعالى: ﴿صلِّ عليهم انّ صلاتك سكن لهم﴾ أي إنّ دعواتك يسكنون اليها، وتطمئن قلوبهم بها، والسكينة فعيلة من السكون، يعني السكون الذي هو وقار، لا الذي هو فقد الحركة.[2]

﴿هو الّذي أنزل السّكينة في قلوب المؤمنين﴾، أوجد الثبات والاطمئنان.[3]

وأوضح اللّغويّون معنى (السكن) بقولهم: «... وسكن الريح: هدأت. وسكن النّفس بعد الاضطراب: هدأت. وسكن النفس اليه: استأنس به، واستراح اليه... والسّكن: المسكن، وكل ما سكنت اليه، واستأنست به، والزّوجة والنّار * والرحمة والبركة والقوت».

«السكينة: الطمأنينة والاستقرار والرّزانة والوقار»[4].

وهكذا نفهم معنى (السكن) الذي توفِّره الزّوجة لزوجها وأسرتها، وهو: الرّاحة والاستقرار والاستيناس والرّحمة والبركة والوقار. كما نفهم سر اختيار القرآن لهذه الكلمة الجامعة لمعانٍ عديدة.

---

(١) الطريحي / تفسير غريب القرآن الكريم، والطباطبائي / تفسير الميزان.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) المعجم الوسيط.

(*) يأنس بها الإنسان لتبديدها الظلمة وتوفير الدفئ ولإنضاجها الطعام.

(٤) المعجم الوسيط.

ولقد أثبتت الدراسات العلمية أثر الوضع النفسي والعصبي للانسان على مجمل نشاطه في الحياة، فمن الثابت علمياً أنّ المسؤولية الاجتماعية، مسؤولية العمل والانتاج المادي: الزراعي والصناعي، والعمل السياسي والاجتماعي والوظيفي والخدمي في المجتمع: كالإدارة والأعمال الهندسية والتعليم والطبّ والتجارة والفن... الخ، التي يقوم بها كل من الرجل أو المرأة تتأثّر بشكل مباشر بأوضاعهم النفسية، فالرّجل الذي يعيش في وسط المشاكل العائلية والتوتّر النفسي والعصبي ينخفض إنتاجه المادي، كما يتأثر إقباله على العمل والإبداع في أعماله الخدمية أيضاً وتزداد مشاكله في علاقاته مع رفاقه في المعمل والمرتبطين به، وبذا تساهم طبيعة العلاقات الزوجية بين الرّجل والمرأة في مستوىٰ الانتاج والتنمية بانعكاس آثارها النفسية والعصبية علىٰ طاقة الانسان ونشاطه اليومي وعلاقته بالانتاج والعاملين معه.

وليس هذا فحسب، بل وتساهم الأُم في تطوير المجتمع وبنائه فكريّاً وماديّاً وأخلاقيّاً من خلال تربية الأبناء وتوجيههم، فالطفل الذي ينشأ بعيداً عن القلق والتوتّر والمشاكل العائلية ينشأ سويّ الشخصية ايجابيّاً في علاقاته وتعامله مع الآخرين وعطائه الاجتماعي، بخلاف الطفل الذي ينشأ في بيئة عائلية تضجّ بالمشاكل والنزاعات والتعامل السيء مع الطّفل، فانّه ينشأ عنصراً مشاكساً، وعدوانيّاً في سلوكه وعلاقاته، لذا فإنّ معظم حالات الإجرام والتخريب في المجتمع سببها التربية المنحطّة.

وهناك مساحة أخرىٰ من مساحات البناء الاجتماعي تساهم فيها

الأُم كما يساهم الأب، هي مساحة التربية الايجابية، فالطّفل الذي يُنشّأ على حبّ العمل، والحفاظ على الوقت، ويوجّه توجيهاً مدرسيّاً سليماً من خلال العائلة، فيواصل تحصيله الدراسيّ وينمي مؤهّلاته الخلّاقة، يكون عنصراً منتجاً من خلال ما يحصل عليه من خبرات واختصاص علمي وعملي. بخلاف الطّفل الاتّكاليّ الكسول الذي لا يحرص أبواه علىٰ توجيهه نحو العمل والانتاج، فانّه يتحوّل الى عالة على الآخرين وتتسبّب الأعداد الهائلة من تلك العناصر في تخلّف الانتاج وركود الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

وهكذا تترابط حلقات البناء بين التربية والتنمية والانتاج والأخلاق واستقرار المجتمع، ويبرز دور المرأة في البناء الاجتماعي في هذه المجالات كلّها.

عناصر بناء المجتمع

إنّ العلاقة بين الأفراد في الحياة الاجتماعية كالعلاقة بين حروف اللّغة، فما لم تجتمع تلك الحروف، وتنتظم العلاقة بينها، لا تحصل البنية اللّغوية العامّة التي تحمل الفكر الانساني، وتُصوِّر المشاعر والحياة الانسانية بأجمعها.

وهكذا الأفراد الأحاديون لا يتحوّلون إلى صيغة انسانية وتشكيل نسمِّيه مجتمعاً، له وجوده وكيانه المتميِّز عن وجود وكيان الأفراد، وله هويّته ومشخّصاته إلّا إذا ترابط أفراده بروابط، وانتظموا بعلاقات تنظم نشاطهم وسلوكهم، وهذه الروابط والعلاقات هي التي أسميناها عناصر بناء المجتمع وهي:

١ ـ **العقيدة**: تعتبر رابطة العقيدة من أقوى الروابط الانسانية التي تربط أفراد المجتمع، وتحوِّلهم إلى وحدة متماسكة كالجسد الواحد، كما عبّر عنها الحديث النبوي الشريف بنصّه: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسّهر والحمّى**»[١].

فللعقيدة آثارها وانعكاساتها النفسية والعاطفية والسلوكية العملية في العلاقات الانسانية جميعها، تمتد آثارها من البناء إلى الاصلاح

(١) صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب (٢٧).

والحفاظ على البنية الاجتماعية؛ لذا نجد القرآن الكريم يوضّح هذه الرابطة بقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. (التوبة / ٧١)

. فتلك الآية المباركة تثبت مبدأ الولاء بين المؤمنين والمؤمنات بالله سبحانه ورسالته وتثبت قاعدة فكرية ونفسية من أقوى قواعد البناء الاجتماعي، وفي هذه الرابطة تدخل المرأة عنصراً أساساً مشخّصاً في نصّ الآية الكريمة.. تدخل في دائرة الولاء، وتتحمّل مسؤولية البناء والتغيير والاصلاح الاجتماعي، كما يتحمّل الرّجل بشكل متعادل، ويظهر ذلك جليّاً واضحاً في النص القرآني الآنف الذكر.

وبذا تحتل المرأة الموقع ذاته في هيكليّة البنية الاجتماعية وتحمّل المسؤولية من خلال رابطة الولاء للأفراد والمجتمع بجنسيه الذكري والأُنثوي.

٢ ـ **القوانين والأنظمة**: يُعَرَّف القانون بأنّه: «مجموعة القواعد المنظِّمة لسلوك الأفراد في المجتمع، والتي تحملهم السّلطة العامّة فيه على احترامها، ولو بالقوّة عند الضرورة»[١].

فالقانون الاجتماعي، هو الأداة والوسيلة التي تنظِّم حركة المجتمع، وتربط أفراده، وتوجِّه اتجاههم ونشاطهم. كما ينظِّم القانون الطبيعي حركة الذرّة والكواكب... الخ، وبدون القانون لا يمكن أن تبنىٰ الهيئة

(١) الدكتور أنور سلطان / المبادئ القانونية العامّة / ص ١٦.

الاجتماعية أو تتطوّر.

والقانون الاسلامي هو القانون المستنبط من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة لتنظيم المجتمع الاسلامي وفق الرؤية والمقاصد الاسلامية، لتكون معالجته قائمة على أسس علمية؛ لذا راعى الطبيعة النفسية والعضوية لكل من الرّجل والمرأة.

وتأسيساً على هذا المبدأ العلمي فانّ القانون الاسلامي يقسم الى ثلاثة أقسام هي:

أ ـ قوانين وأحكام تخصّ المرأة.

ب ـ قوانين وأحكام تخصّ الرّجل.

ج ـ قوانين وأحكام عامّة تنطبق على الرّجل والمرأة جميعاً، وهي المساحة الواسعة من القانون والأحكام الاسلامية.

وهذا النمط من التنظيم المراعي للجنس، يلقي على المرأة كما يلقي على الرّجل أن يتحرّك وينشط في مساحتين من الحركة والنشاط؛ الأُولىٰ خاصّة بجنسه ووضعه الجنسي، والثانية تشمل المجتمع بكامل بنيته وتكوينه.

٣ ـ الأعراف والتقاليد الاسلاميّة: وللمجتمع الاسلامي أعرافه وتقاليده التي تشكّل عنصراً أساساً من عناصر بنائه المميّزة له، والتي يجب الحرص عليها وتركيزها للحفاظ على معالمه.

٤ ـ الحاجة إلى الخدمات وتبادل المنافع (الإنتاج): لقد وضح لدينا من خلال الآية الكريمة: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات

ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً﴾، أنّ الحاجة إلى الآخرين هي الدافع الأساس لدخول الفرد في تجمّع الأفراد وتكوين البنية الاجتماعية، ليدخلوا عملية تبادل المنافع، كما تتبادل الأحياء والطبيعة المنافع في بيئتها الطبيعية الخاصّة، فيوفّر الفرد من خلال ذلك حاجته الفردية، وليساهم في تكامل الحياة البشرية.

ونتيجة لتطوّر متطلّبات الفرد والجماعة، واختلاف الأفراد من الرّجال والنساء، في القدرات والميول والامكانات العقليّة والجسدية والنفسية والارادية، فقد نشأ التخصّص الوظيفيّ في المجتمع بشكل عفوي تارة، وباختيار الفرد وظيفته الاجتماعية، أي نوع العمل الذي يؤديه في المجتمع، كالزراعة أو الطب أو التجارة أو التعليم تارة أخرى ... الخ، أو مخطّطاً تخطيطاً مركزياً من قِبَل الدولة الاسلامية تارة ثالثة المسؤولة عن تنظيم المجتمع، وتوجيه طاقاته، لاشباع حاجات الأفراد، وحلّ المشاكل الناجمة عن الحاجة بشتّىٰ ألوانها.

وفيما يلي سندرس دور المرأة في هذا المجال، ونلقي الضوء عليه ولو بشكل موجز.

الفروق
النفسيّة والعضويّة بين الرّجل والمرأة

من القضايا العلمية المسلّم بها لدىٰ علماء النفس والطب أنّ لكل من الرّجل والمرأة تكوينه العضويّ وانّه من الطبيعي أن تختلف تبعاً لذلك الوظيفة الاجتماعية للمرأة عن وظيفة الرّجل؛ لذا فانّ استقامة الحياة الاجتماعية تحتاج إلى أن يحافظ كل من الرّجل والمرأة على انتمائه الجنسي، فتحافظ المرأة على أنوثتها، ويحافظ الرّجل على رجولته، وتشير الدراسات العلمية إلى أنّ الهرمونات التي تفرزها الغدد الصمّاء تساهم في تكوين الفروق النفسية والسلوكية بين الرّجل والمرأة كما يساهم الجهاز العصبي.

ولقد وضّح القرآن الحكيم الفارق التكويني بين الجنسين الذي تبنىٰ عليه الفوارق الوظيفية كما بيّن المشتركات التكوينية بين الجنسين أيضاً.

قال تعالىٰ:

﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم علىٰ بعض للرِّجال نصيبٌ مِمّا اكتسبوا ولِلنِّساءِ نصيبٌ مِمّا اكتسبن واسألوا الله من فضله إنّ الله كان بكلِّ شيءٍ عليماً﴾. (النساء / ٣٢)

وأكّدت السنّة المطهّرة أنّ مظاهر التكامل في شخصيّة كل من الرّجل والمرأة ترتبط بتركّز الخصائص النوعية لدىٰ كل منهما ومحافظته عليها واعتزازه بها؛ لذلك نهت السنّة عن أن يتشبّه أفراد الجنس

الأُنثوي بالرِّجال، كما نهت الرّجل عن ذلك.

وتفيد الدراسات النفسية والتجارب التي أُجريت على بعض حالات الانحراف النفسي عند الجنسين، أنّ ميل بعض الذّكور الى التشبّه بالأُناث، وميل بعض الأُناث إلى التشبّه بالذّكور، هو حالة انحرافيّة، وأنّ هذه الحالة يمكن السيطرة عليها، ومعالجتها بالتربية والاجراءات الاجتماعيّة، وإعادة تنظيم الشخصيّة.

وقد جاء في الحديث الشريف النهي والزّجر العنيف واللّعن لهذا الصنف من الناس.

أورد المحدِّث والفقيه الكبير الحرّ العامليّ (رحمه الله) عدّة أحاديث تحت عنوان: «عدم جواز تشبّه النساء بالرِّجال والرِّجال بالنِّساء».

فقد روي عن الامام الصادق (ع) وأبي الحسن الرضا (ع): «إنِّي لأكره أن يتشبّه الرِّجال بالنِّساء»[1]، ومعنىٰ الكراهة هنا هو الحرمة وعدم الجواز، كما جاء في عنوان الموضوع أعلاه.

وروي عن الصادق (ع)، عن رسول الله (ص) قوله: «كان رسول الله يزجر الرّجل أن يتشبّه بالنِّساء، وينهى المرأة أن تتشبّه بالرِّجال في لباسها»[2].

وعن ابن عبّاس قال: «لعن رسول الله (ص) المتشبِّهين من الرِّجال

---

(١) الحرّ العاملي / وسائل الشيعة / كتاب الصّلاة / أبواب أحكام اللّباس / الباب ١٣.

(٢) المصدر السابق.

بالنِّساء، والمتشبِّهات من النِّساء بالرِّجال»[1].

وانّ تشخيص تلك الفوارق يترتّب عليه التسليم العلمي بـالفارق الوظيفي في بعض المجالات والتكاليف الحيوية التي كلّف بها كـل مـن الرّجل والمرأة.

وتأسيساً عـلىٰ ذلك تـتحدّد الفـوارق والمشـتركات في الوظـيفة الاجتماعية.

---

(١) البخاري / صحيح البخاري / ج ٧ / ص ٥٥.

المرأة والحضارة الماديّة

انّ دراسة تأريخ الشعوب والمجتمعات على امتداد عصورها تكشف عن معاناة المرأة واستغلالها واضطهادها.

ولم يكن هناك من نظام، أو عقيدة رفعت عن المرأة كابوس الظلم والاضطهاد والمعاناة غير المبادئ الإلهيّة التي تجسّدت بأرقىٰ صورها في الرسالة الاسلامية الخالدة.

وقبل أن نُعرِّف بقيمة المرأة وحقوقها ومكانتها المرموقة في الاسلام فمن المفيد أن نورد بعض الإحصاءات التي تحدّثت عن محنة المرأة ومعاناتها في الحضارة المادية الحديثة التي تقودها أمريكا وأوربا، والتي ترفع شعار حقوق المرأة.

انّ الأرقام والإحصاءات تؤكِّد أنّ الانسان المضطهد في هذه الحضارة، والذي تحوّل الىٰ رقّ وأداة للاستمتاع هو المرأة.

وفيما يلي ننقل بعضاً من هذه الاحصاءات والأرقام الناطقة:

«في تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية أنّ ٧٠ ٪ من ٣ر١ مليار انسان يعيشون دون مستوى الفقر الكامل في العالم هم من النساء، وهناك حوالى ٣ر٢ مليار إمرأة أُميّة في العالم.

وتتعرّض ثلث النساء في النرويج وأمريكا وهولندا ونيوزلندا إلى الاستغلال الجنسي.

وفي أمريكا تواجه إمرأة واحدة كل ٨ ثواني سوء التعامل فيما تتعرّض كل ٦ دقائق إمرأة واحدة إلى الاغتصاب».

يضيف التقرير: «أنّ نصف مليون إمرأة تموت سنويّاً نتيجة الحمل وأعراضه، وتشكّل النساء الشابّات ٤٠ ٪ من هذا الرقم.

كما إنّ أجور ٨٢٨ مليون إمرأة تعمل في النشاطات الاقتصادية، تقل بنسبة ٣٠ إلىٰ ٤٠ ٪ عن أجور الرّجال. ولا تشملهنّ من الاعتبارات البنكية في العالم سوىٰ ١٠ ٪ من هذه الاعتبارات».

وجاء في تقرير آخر:

«بناء علىٰ دراسة قامت بها وزارة العدل الأمريكية، تحدث في أمريكا سنويّاً (٣١٠) ألف عملية اغتصاب، أو محاولة اغتصاب، أو محاولة اغتصاب ضدّ النسوة، وهذا ضعف الرقم المعلن من قبل الشرطة الفيدرالية الأميركية.

وحسب تقرير وكالة الأنباء الفرنسية من واشنطن، هناك في السنة حوالى نصف مليون حالة تعرّض جنسي للنساء في أمريكا.

هذا في الوقت الذي لم تعلن الشرطة سوىٰ عن وجود حوالى (١٤٠) ألف حالة اغتصاب، أو محاولة اغتصاب في أمريكا، وذلك حسب آخر الاحصائيّات المنشورة من قبل الـ(أف. بي. آي)».

وجاء في تقرير نقلته جريدة اطّلاعات الايرانيّة ـ العدد ٢٠٤٠١ عن وكالة الأنباء الايرانية في روما، ما يأتي:

«تتصاعد بشدّة موجة العنف داخل العوائل الايطالية، وقد ازدادت

حالات مقتل الآباء علىٰ أيدي الأبناء ومقتل الأبناء بأيدي الآباء، عمّا كانت عليه في السّابق.

كتبت صحيفة (لاريوبلكيا) الإيطالية مؤخّراً نقلاً عن التقرير السنوي لإتّحاد (اوروسپس) للإحصاء: سُجّلت في الأشهر العشرة الأُولىٰ من عام ١٩٩٤، (١٩٢) حالة عنف داخل العوائل الإيطاليّة، انتهت (١٢٩) حالة منها بالقتل.

وحسب هذا التقرير فإنّ هذا النوع من العنف بلغ عام ١٩٩٣، (١١٢) حالة تركت ما يقارب هذا الرقم من القتلىٰ.

الجدير بالذكر انّ ١ر٤٠ ٪ من الجرائم العائلية حصلت في شمال ايطاليا و ٨ر٤٣ ٪ منها حدثت في الجنوب و ١ر١٦ ٪ كانت في الوسط الإيطالي.

وكانت أكثر عمليات القتل العائلي لعام ١٩٩٤ قد حدثت في محافظة (لومباردي) بشمال إيطاليا».

ونقلت صحيفة جمهورى اسلامى ـ العدد ٤٤٨٥ ـ خريف ١٩٩٤ التقرير الآتي:

«نشرت مجلّة ايپدميولوجي (علم الأوبئة) التابعة لمنظّمة الصحّة العالمية (WHO) في عددها الحادي عشر (صيف ١٩٩٣) آخر الاحصائيات العالمية الشاملة للإصابة بالأيدز موزّعةً حسب مناطق العالم المختلفة.

وتشير هذه الاحصائية أنّ عدد الاصابات بالأيدز والمثبتة عند

المنظّمة حتّىٰ شهر حزيران لعام ١٩٩٣ يبلغ (٧١٨٨٩٤) إصابة.

(٣٧١٠٨٦) إصابة منها في القارّة الأمريكية، و (٢٤٧٥٧٧) إصابة في القارّة الأفريقية، و (٩٢٤٨٢) إصابة في أوربا، و (٤١٨٨) في استراليا، و (٣٥٦١) في قارّة آسيا.

وحسب البلدان فانّ أعلىٰ نسبة هي الخاصّة بالولايات المتّحدة، حيث سجّلت (٢٨٩٣٢٠) إصابة تليها تنزانيا بـ (٣٨٧١٩) إصابة، ثمّ البرازيل (٣٦٤٨١) إصابة، وكينيا (٣١١٨٥) إصابة، وأوغندا (٣٤٦١١) إصابة، وبريطانيا (٢٦٩٥٥) إصابة، وفرنسا (٢٤٢٢٦) إصابة، وزائير (٢١٠٠٨) إصابة، واسبانيا (١٨٣٤٧) إصابة، وإيطاليا (١٦٨٦٠) إصابة، والكونغو (١٤٦٥٥) إصابة وتأتي بقيّة البلدان في المراتب اللّاحقة.

وكما يلاحظ فإنّ الولايات المتّحدة لا تحتل المرتبة الأُولىٰ من حيث الإصابات بل وتختلف اختلافاً مذهلاً عن البلدان التي تليها. كما إنّنا لو أخذنا النسبة المئويّة للأرقام لوجدنا أنّ المصابين في الولايات المتّحدة يشكّلون ٤٠ ٪ من كل المصابين في ١٥٠ دولة في العالم، هذا بالرغم من أنّ سكّان الولايات المتّحدة ليسوا سوىٰ ٥ ٪ من مجموع السكّان في العالم».

وجاء في تقرير آخر نقلته جريدة اطّلاعات الايرانيّة ـ العدد ٢٠٤٨٢ ـ ٢١ مايس ١٩٩٥، عن مراسلها في مدريد ما يلي:

«في عام ١٩٦٠ كان ٨٢ ٪ من الأطفال يعيشون في ظلال آبائهم،

والآن يعيش ٦٠ ٪ منهم بلا آباء. الطّلاق وتزمّت الأُمّهات يؤدّي إلىٰ هروب الرّجال من المنازل. يقول الكاتب الأمريكي (ديفيد بلنك هورن) في كتابه الذي حقّق مبيعات عالية جدّاً (أمريكا بلا أب) بعد أن ذكر الإحصائيات أعلاه: أن يكون هنالك آباء صالحون أمر يحتاج إلىٰ نموذج نسوي (أي يحتاج إلىٰ نساء صالحات) وهذا هو السّبب في هروب الآباء الأمريكيين من المنازل.

ويقول مراسل صحيفة آل پاييس الاسبانية في تقرير من أمريكا: إنّ الاهتمام الزّائد بالنساء في المجتمع الأمريكي انتهىٰ بضرر الآباء هناك، وحرم الأبناء من ظلال آبائهم حتّىٰ أصبح التوفّر على الآباء من الأحلام المستعصية التحقّق في أمريكا».

وفي تقرير عن ظروف الطفل في بريطانيا نقلت جريدة اطّلاعات ـ العدد ٢٠٤٠٧ ـ ٣١ يناير ١٩٩٥، عن وكالة أنباء (إرنا) من لندن ما يلي:

«انتقدت الأُمم المتّحدة في تقرير بشدّة وضع الأطفال في بريطانيا وقوانين ونظم رعاية الأطفال في تلك البلاد.

وحسب هذا التقرير الذي أعدّته لجنة حقوق الأطفال في منظّمة الأُمم المتّحدة، فإنّ القوانين الحاكمة في بريطانيا فيما يتعلّق بصحّة وتعليم الأطفال وضمانهم الاجتماعي، لا تأخذ بنظر الاعتبار بمبدأ أنّ تلك القوانين يجب أن تكون باتجاه ضمان مصالح الأطفال.

ويرى المتخصّصون في لجنة حقوق الأطفال في منظّمة الأُمم أنّ

القوانين الخاصّة بالأطفال في بريطانيا تركّز في الغالب على معاقبة وحبس الأطفال والمراهقين المنحرفين.

ومن مواضع النقد في التقرير تزايد عدد الأطفال الانجليز الذين يعيشون دون مستوى الفقر وتفاقم معدّلات الطّلاق وانحسار المساعدات الحكومية للعوائل الفقيرة وازدياد عدد الأطفال والمراهقين المتسكّعين المتسوّلين في الشّوارع.

كما أعرب كتّاب التقرير عن قلقهم بخصوص سوء المعاملة والاستخدام الفيزياوي والجنسي الذي يتعرّض له الأطفال.

وحسب ما ذكرته مصادر الأُمم المتّحدة فإنّ تقارير هذه المنظّمة حول وضع الأطفال في السويد والنرويج والدنمارك تماثل في انتقاداتها التقرير الخاص ببريطانيا».

وجاء في جريدة جمهوري اسلامي ـ العدد ٤٤٨٥ :

«وحسب وكالة إرنا من بون، فقد ذكر تقرير دائرة الاحصاء الألمانيّة (١٩٩٣) أنّ عدد الأُمّهات اللّواتي يربّين أبناءهنّ بمفردهنّ في تزايد سنوي دائم. ويضيف: يوجد حاليّاً ٤٥٥ ألف أُم في الولايات الشرقية من ألمانيا (٢١ ٪ من مجموع الأُمّهات في هذه الولايات) يربّين أطفالهنّ بمفردهنّ.

وفي مقابل ذلك توجد من ٧ ملايين أُم في الولايات الألمانية الغربية ٩١٥ ألف أُم (١٢ ٪ من الأُمّهات) يتحمّلن بمفردهنّ مسؤولية تربية أطفالهنّ.

وبهذا يكون هنالك مليون و ٣٧٠ ألف أم من بين ٩ ملايين و ٢٦٠ ألف أم في ألمانيا يربِّين أطفالهنّ لوحدهنّ.

وطبق هذا التقرير فإنّ ٤٦ ٪ من هذه الأُمّهات في الولايات الشرقية و ٣٠ ٪ منهنّ في الولايات الغربية لم يتزوّجن بصورة رسميّة. و ٤٣ ٪ من هذه الأُمّهات تطلّقن من أزواجهنّ، ولأنّ قيمومة الأبناء في ألمانيا بيد الأُمّهات فعليهنّ تحمّل مسؤوليّة التربية.

هناك أكثر من ٩ر٢٦ مليون أم في ألمانيا لهنّ أبناء غير بالغين دون ١٨ سنة، و ٤ر٥ مليون منهنّ يعملن خارج البيت دواماً كاملاً، أو نصف دوام، فضلاً عن مسؤوليّاتهنّ في البيت، ومهام تربية الأطفال.

الجدير بالذكر أنّ معدّلات الطّلاق في ألمانيا تضاعفت حاليّاً عمّا كانت عليهِ عام ١٩٦٨، وازدادت من ٦٥ ألف حالة عام ١٩٦٨ إلىٰ ١٣٥ ألف في السنوات الحاضرة. وتُسجِّل سنويّاً ٣٩٠ ألف عمليّة زواج في ألمانيا تنتهي ٣٣ ٪ منها إلى الطّلاق، وحتّىٰ هذه النسبة تصل في المدن الكبيرة مثل هامبورغ إلىٰ ٥٠ ٪».

ونقلت جريدة اطّلاعات ـ العدد ٢٠٥٠٣، عن الأمم المتحدة ـ إرنا ما يلي:

«المساعدات الأمريكية لمنظّمة اليونيسيف بالقياس إلى دخلها القومي، أقل من العشرين بلد الصناعية في العالم.

أعلن عن ذلك صندوق رعاية الأطفال في الأُمم المتّحدة وأضاف: مع إنّ أمريكا بدفعها ٧ر٩ مليار دولار تحتل المرتبة الثانية بعد اليابان

في مقدار دعم اليونيسيف. ولكن هذا المبلغ ليس إلّا ١٥ر٠ بالمئة من دخلها القومي، في حين تحتل هولندا والدول الاسكندنافية المرتبة الأُولىٰ في هذا المجال. إذ تصل مساعداتها إلى ٨ر٠ بالمئة من دخلها القومي.

وقد أعرب المسؤولون في اليونيسيف عن قلقهم ازاء انحدار مستوى المساعدات الخارجية من الدول الغنية للبلدان النامية وأضافوا: إنّ هذا يحصل في وقت تتزايد فيه أهميّة دعم نمو وصحّة الأطفال وتحسين ظروف عمل الأُمّهات في البلدان النامية إلىٰ أقصى الدرجات.

وحسب هذا التقرير، يقضي سنويّاً ١٣ مليون طفل في العالم نحبهم نتيجة أمراض ذات الرئة والإسهال والحصبة.

كما يعاني ٢٠٠ مليون طفل فيالعالم من نقص فيتامين A الذي يؤدّي نقصه الحاد إلىٰ فقدان البصر!!!».

وفي تقرير آخر نقلته جريدة اطّلاعات ـ العدد ٢٠٣٧٠ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٩٤، جاء ما يلي:

«عن طهران ـ إرنا وجود ما يقارب نصف مليون طفل متسكّع في أمريكا، يطرح مرّة أخرىٰ علىٰ بساط البحث موضوع بناء المياتم التي يعتبرها المجتمع الأمريكي عاراً عليه!!

كتبت سوزان فيلدز، محلّلة صحيفة الواشنطن تايمز: إنّ الكثير من الأطفال عديمي الوليّ الذين يعيشون في كنف العوائل المتطوّعة للاحتفاظ بهم، يتعرّضون للضّرب والإهانة وسوء المعاملة، بل انّهم

يقتلون في بعض الأحيان.

تقول فيلدز: أنّ نوعيّة تعامل المجتمع مع أبنائه علامة مهمّة علىٰ هويّة ذلك المجتمع الحقيقيّة.

وتضيف: إنّ عدد الأطفال المتسكّعين يزداد في أمريكا يوماً بعد يوم، حتّىٰ أنّ الشرطة عثرت أحياناً علىٰ حديثي الولادة في براميل الزبل. وفي مثل هذه الحالات لا تكفي المساعدات المالية للأمّهات، بل لا بدّ من إيجاد مراكز خاصّة لتلبية الحاجيات الأساسيّة لهؤلاء الأطفال».

المرأة في الاسلام

لماذا الهجوم على موقف الاسلام من المرأة ؟

إنّ دراسة هذه المسألة (مسألة حقوق المرأة في الاسلام) لهي من أهم المسائل والقضايا الفكرية والحضارية في الوضع الراهن، فلم يزل خصوم الاسلام والمقلِّدون لهم ومن يجهلون الفكر والأحكام والمفاهيم الاسلامية يواصلون هجومهم الظالم على الفكر والتشريع الاسلاميين، مدّعين ظلامة المرأة في الاسلام.

ومن دراسة وتحليل عناصر هذه المعركة الفكرية (معركة حقوق المرأة) بين الاسلام والمادية العلمانية يتّضح لنا أنّ محور المعركة يدور حول مسألة أساسية هي أنّ الفكر العلماني ينادي بالإباحيّة والانحلال الجنسي، تلك النظرية التي تتحوّل فيها المرأة إلى أداة متعة وإشباع غريزي يقود إلى تدمير الأُسرة والمجتمع والمرأة. في حين ينادي الاسلام بتكريم المرأة والترفّع بها عن هذا المستوى المتدنّي ومنحها الحقوق والمكانة التي توهِّلها لمشاركة الرّجل في بناء الحياة والتعبير عن انسانيّتها علىٰ أسس إنسانية رفيعة سنعرِّف بها في هذا البحث بشكل موجز.

ويجدر بنا قبل الحديث في هذا الموضوع أن نعرِّف بالأسباب الأساسية لهذه المعركة (معركة حقوق المرأة) واتّهام الاسلام بغمط المرأة

حقّها.

انّ الكتّاب والمفكّرين الاسلاميين ودعاة الاسلام وعلماء ومؤسّسات الدعوة والثقافة الاسلامية، لا سيّما أبناء الجاليات الاسلامية في العالم غير الاسلامي وبالأخصّ في أوربا وأمريكا، انّ كل هؤلاء يتحمّلون واجبهم في التعريف بهذه المسألة الهامّة، من خلال البحوث والدراسات والمؤتمرات والندوات على الأصعدة جميعها، السياسية والنفسيّة والاجتماعية والأُسرية والمدنية المختلفة.

انّ أهم الأسباب الكامنة وراء عمليات الهجوم على الفكر الاسلامي في هذا المجال يمكن تلخيصها بالآتي:

١ ـ الخلط بين التقاليد المتخلِّفة وبين نظرية الاجتماع الاسلامي:

انّ من الأُمور الأساسية التي يجب على الكتّاب والمثقّفين الاسلاميين ودعاة الاسلام ايضاحها وبيانها هي المغالطات التي يحاول خصوم الفكر الاسلامي، أو المخدوعون بالفكر المادي المنحلّ، أو الذين اختلطت عليهم المفاهيم فتغلّب الخلط وسوء الفهم، هو الخلط وعدم التمييز بين ما هو اسلامي يقوم على أسس القيم والمبادئ الاسلامية وبين ما هو عادات وتقاليد اجتماعية متخلِّفة نشأت في مجتمعات المسلمين المتخلِّفة، والتي تتناقض وروح الاسلام ومبادئه ومنهاج تنظيمه للمجتمع والعلاقات الجنسية وأسس العلاقة بين الرّجل والمرأة، فراحوا ينسبون عن جهل أو عمد كل ما يشاهدونه في مجتمع المسلمين الى الاسلام. ولا بدّ لنا هنا من أن نشير إلى أنّ هناك فرقاً بين مجتمع

المسلمين القائم الآن، وبين المجتمع الاسلامي الذي يجب أن يقوم على أساس الاسلام، وقد أوضحنا ذلك في تعريف المجتمع الاسلامي.

وأنّ هذا التخلّف الاجتماعي في مجتمع المسلمين هو جزء من التخلّف العام في مجال العلم والمعرفة والتنمية والتصنيع والصحّة ... الخ.

انّ الصورة الاجتماعية المشوّهة التي ينتزعها بعض الباحثين الاجتماعيين في بيئات اجتماعية متعدِّدة، كالدراسة التي تجري على وضع المرأة الاجتماعي في ريف مصر أو العراق أو المغرب العربي أو صحراء الجزيرة العربية ... الخ، فتشخِّص مشاكل المرأة من خلال النظرة الريفية أو الصحراوية المتخلِّفة الظالمة للمرأة، ثمّ تعرض تلك الدراسات صورة ممثّلة للاجتماع الاسلامي؛ لأنّ أفراد تلك المجتمعات أناس مسلمون، ويتغافل عن أنّ تلك المفاهيم والممارسات لا علاقة لها بالفكر والممارسة الاسلامية، وهي لا تتعارض فحسب مع القيم والأحكام الاسلامية، بل وقد كرّس الاسلام جزءاً من فكره وقوانينه وقيمه لمحاربتها وتغييرها.

٢ ـ الجهل بالاسلام:

انّ من المشاكل التي يواجهها الفكر الاسلامي في مرحلتنا الراهنة هي:

الجهل بالاسلام من قبل الآخرين، لا سيّما في أوربا وأمريكا وبقيّة العالم غير الاسلامي. فهؤلاء يجهلون أبسط مبادئ الفكر الاسلامي، بل ويفهمونه فهماً مشوّهاً محرّفاً يقوم على أساس الخرافة والإرهاب وسفك الدماء والتخلّف والتعصّب، وتلك الأفكار هي من صنع الحركة

الاستشراقية والصهيونية ومؤسّسات الكنيسة والتبشير الكنسيّ.

فليس في ذهن الانسان الغربي شيئاً من صورة الاسلام، بل كل ما في فهمه وتصوّره هو تلك الصورة الشوهاء، ولو عرف الانسان الغربي حقيقة الاسلام لأقبل عليه، ولتفتّح عقله للحوار العلمي ولاستقبله بحريّة الانفتاح الفكري.

ونستطيع أن نقرأ وبشكل موجز هذه المشكلة الكبرىٰ في خطاب الرئيس الألماني (رومان هوتسوغ) الذي ألقاه بمناسبة تكريم السيدة (آناماري شمل) في ١٩٩٥/١/١٠، المستشرقة الألمانيّة المنصِفة في حفل تسلّمها جائزة السّلام من (رابطة الكتاب الألماني).

قال رادّاً على المعارضين لمنح (شمل) جائزة السّلام؛ لأنّها تناصر الفكر الاسلامي، وتتعامل معه بإنصاف، وتدعو الى فهمه وتغيير الصورة الشوهاء التي كوّنها الإعلام الأوربي عن الاسلام والمسلمين.

قال: «وهناك ظاهرة تبدو واضحة في علاقاتنا وتعاملنا مع الاسلام في عصرنا الحاليّ. إنّنا لا نتجنّىٰ على الرأي العام الألماني إذا قلنا أنّ ما ينعكس في مخيّلة الكثير منّا عند ذكر الاسلام إنّما هو (قانون العقوبات اللّاإنساني) أو (عدم التسامح الديني) أو (ظلم المرأة) أو (الأُصولية العدائيّة) ولكن هذا ضيق أفق يجب أن نغيِّره، فلنتذكّر بالمقابل موجة التنوير الاسلامي التي حفظت للغرب قبل ستة أو سبعة قرون أجزاء عظيمة من التراث القديم، والتي وجدت نفسها آنذاك أمام نمط من الفكر الغربي، لا شكّ أنّها شعرت أنّه أصولي وغير متسامح»[1].

---

(١) د. نديم عطا الياس / سيقهر الماء صُمَّ الحجر / ص ٤٢.

وفي مقطع آخر من خطابه يُوضّح الرئيس الألماني سبب العداء للاسلام، هو جهل الأوربيين بالاسلام؛ لذا نجده يتساءل في خطابه:

«أليس محتملاً أن يكون سبب عدم تفهّمنا للاسلام هو رسوخه على أسس عميقة من التديّن الشعبي بينما نحن إلى حدّ كبير في مجتمع علماني؟ وإذا صدق ذلك فكيف نتعامل مع هذه الاشكالية؟

هل يحقّ لنا أن نصنِّف المسلمين الأتقياء مع (الأُصوليين الارهابيين) فقط لمجرّد افتقادنا نحن للاحساس السليم تجاه الاستهزاء بالمشاعر الدينية للآخرين، أو لكوننا لم نعد قادرين على التعبير عن هذا الاحساس السليم»[١].

ثمّ يعترف الرئيس الألماني بعدم معرفته بالاسلام بشكل أفضل إلّا بعد الاطلاع على كتب المستشرقة المنصفة (شِمل)، قال:

«لم يبدأ اطّلاعي على تلك التعدّدية والتنوّعية الهائلة في نطاق الاتجاهات الاسلامية في تاريخ الاسلام وواقعه المعاصر بادئ ذي بدء إلّا من خلال كتب (آناماري شمل)، وربّما مرَّ سواي بنفس هذه التجربة. انّنا بحقّ في حاجة الى تعويض ما فوّتنا على أنفسنا من فهم بعضنا بعضاً...»[٢].

ثمّ يدعو الرئيس الألماني الى فهم الاسلام لتحديد موقف آخر منه

---

(١) المصدر السابق / ٤٦.

(٢) المصدر السابق / ص ٥٠.

غير الموقف الذي بُني على الجهل به، قال:

«أقرّر أنّه لا يوجد أمامنا خيار آخر سوىٰ زيادة معرفتنا بالعالم الاسلامي، إذا أردنا أن نعمل من أجل حقوق الانسان والديمقراطية»[1].

ثمّ يقول: «انّ السبب الحقيقي للتشوّق لمعرفة الاسلام والتعرّف على حضارته الغنيّة إنّما ينبع من انتمائنا إلى حضارة مغايرة له. لقد أيقظت السيِّدة شمل هذا الشوق في نفسي، وأتمنّىٰ أن يكون هذا هو حال الكثير سواي ...»[2].

«ولقد مهّدت لنا آناماري شمل هذا الطريق للّقاء بالاسلام...»[3].

إنّ معركة منح جائزة السلام في ألمانيا للمستشرقة (شِمل) عام ١٩٩٥، واتّفاق الرأي العام السياسي والمثقّف من رجال الفكر والاعلام والاستشراق والفن والأدب في ألمانيا، التي تعتبر من أهم دول العالم في التاريخ المعاصر، وانتصار جبهة (شِمل) التي تعني انتصار التيار الداعي إلى تفهّم الاسلام على حقيقته لتحديد الموقف منه، ومن هؤلاء الطبقة المتقدِّمة من المفكِّرين والسياسيين وفي طليعتهم الرئيس الألماني الذي قرأنا عبارات هامّة من خطابه كشفت لنا جانباً خطيراً من الجوانب التي يتحمّلها الكاتب والمفكِّر والفنّان والأديب المسلم. كما

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق / ٥١.

تتحمّلها المؤسّسات الدينية وعلماء الدين، وهو مسؤولية التعريف بالاسلام على حقيقته النيِّرة الناصعة التي تتفاعل مع العقل والقلب والوجدان. عملاً بالمنهج القرآني في الدعوة إلى الله سبحانه:

﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾. (النحل / ١٢٥)

انّ تلك المعركة الحضارية التي جرت في ألمانيا وحسمت لصالح الداعين إلى فهم الاسلام لتؤكِّد لنا عظمة الاسلام واستعداد الانسان مهما كان بعيداً لأن يتفهّم ويتقبّل الاسلام، ذلك المبدأ الذي ثبّته القرآن بقوله:

﴿إذهبا إلى فرعون إنّه طغىٰ * فقولا له قولاً ليِّناً لعلّه يتذكّر أو يخشىٰ﴾. (طه / ٤٣ ـ ٤٤)

من ذلك نفهم أنّ القرآن يأمر دعاة الاسلام أن يحملوا الفكر الايماني ويوجِّهوا الخطاب الاسلامي لأكثر الناس عداوة وتشدّداً ورفضاً للإيمان، وأن لا يقعوا في دائرة اليأس، ويغلقوا أبواب الحوار الفكري، فانّ الظروف والأجواء التي يتقبّل فيها الخطاب الاسلامي تختلف من مرحلة إلى أخرى، ومن جوّ نفسي واجتماعي وحضاري وظرف تاريخي إلى آخر، فانّ ما يرفض اليوم يقبل غداً. وما يرفض عن هذا الطريق يقبل عن طريق آخر.

٣ ـ الشهوانيّة والانحراف الجنسي:

ولعلّ من أبرز دوافع أولئك الذين ينادون بحريّة المرأة، أو الإباحة

الجنسيّة، هو دافع الشهوانيّة، والانحراف الجنسيّ. وقد تحدّث القرآن الكريم عن تلك الدوافع، وكشف خطرها، وآثارها المدمِّرة. قال تعالى:

﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشّهوات فسوف يلقون غيّاً﴾. (مريم / ١٩)

وقال: ﴿زيِّن للنّاس حُبُّ الشّهوات من النِّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة ...﴾. (آل عمران / ١٤)

وقال: ﴿ويريد الّذين اتّبعوا الشّهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾.

(النساء / ٢٧)

وفي هذه الآيات يوضِّح القرآن خطر النزعة الشهوانيّة، وأنّها تمثِّل الغيّ: (وهو الجهل الناشئ من اعتقاد فاسد) والميل هو (الانحراف عن الاستقامة والاعتدال) الذي جاء واضحاً في بيان قرآنيّ آخر:

﴿الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون﴾. (هود / ١٩)

وفي ما أوردنا من تقارير واحصاءات تتحدّث عن الانحرافات الجنسيّة لدليل عمليّ على ما بيّنه القرآن للنّاس، وحذّر منه.

٤ ـ الحقد المتوارث والخوف من الاسلام:

ومن دوافع الحملة على الاسلام، وتشويه موقفه من المرأة، هو الحقد المتوارث على الاسلام، والعمل على تشويه مبادئه، وقيمه السامية، منذ صدع الرّسول الهادي محمّد (ص) والذي تصاعد في حملات الحروب الصليبيّة وما بعدها. فتوارثت أوربا عن طريق التقليد

الأعمى الأحقاد والكراهية للاسلام، والعمل على تشويه مبادئه الناصعة، وتضليل الرأي العام. كلّ ذلك خوفاً من الاسلام كمشروع حضاريّ يحطّم مصالحهم التي جنوها، وما زالوا يجنونها من العالم الاسلامي، ويقضي على طغيانهم، وهيمنتهم على العالم بصورة عامّة، والعالم الاسلاميّ بصورة خاصّة، لا سيّما بعد انطلاقة الوعي الاسلامي، وبروز الاسلام كمشروع تتبنّاه الحركات الاسلاميّة، وتجسّده تجربة حيّة بإقامة دولة اسلاميّة هي الجمهوريّة الاسلاميّة في إيران.

وقد حشّدت القوى الدوليّة أجهزتها ومخطّطيها، وعبّأت عملاءها في كلّ مكان لمقاومة الوعي الاسلامي والنيل من المشروع الاسلامي، ومن دعاته، وحملة لوائه.

المرأة في حياة الأنبياء (ع)

لقد كان للمرأة دور بارز وخطير في مسيرة الدعوة الالهية وحركة الأنبياء والمرسلين (ع)، فقد ساهمت المرأة في الكفاح الفكري والسياسي، وتحمّلت التعذيب والقتل والهجرة وصنوف المعاناة كلّها والإرهاب الفكري والسياسي والجبروت، وأعلنت رأيها بحرّية، وانضمّت الى الدعوة الإلهية رغم ما أصابها من خسارة السلطة والجاه والمال، ولحوق المطاردة والقتل والتشريد والإرهاب بها، ومثلها مريم أمّ المسيح التي عظّمها القرآن كما عظّمها نبيّ الاسلام محمّد (ص)، فقد أثنى القرآن في آيات عديدة على هذه المرأة النموذج وهو يقدّمها مثلاً أعلى للرّجال، كما يقدّمها مثلاً أعلىٰ للنّساء ليقتدىٰ بسلوكها واستقامة فكرها وشخصيّتها.

والذي يدرس تأريخ المرأة في الدعوة الالهية، يجدها جهة للخطاب كما هو الرّجل، من غير أن يفرّق الخطاب الالهي بينهما بسبب الذكورة والأُنوثة.

وبدراسة عيّنات تأريخية من حياة النساء في مسار الدعوة الالهية، نستطيع أن نفهم الموقع الرائد والفعّال الذي شغلته المرأة في حياة الأنبياء ودعواتهم، فتتجلّىٰ قيمة المرأة في المجتمع الاسلامي، ومشاركتها الفكرية والسياسية، وحقوقها الانسانية والقانونية، نقرأ هذه المشاركة المتقدِّمة والواسعة عندما نقرأ قصّة كفاح أبي الأنبياء إبراهيم (ع) ضدّ

قومه في بابل، في أرض العراق، ومصارعته النمرود. ذلك الصراع الذي انتهىٰ بنجاة ابراهيم (ع) من النار بمعجزة الهية تفوق تصوّرات العقل المادي، ممّا دعاه الى الهجرة الى بلاد الشام. فكانت سارة زوجته والمؤمنة بدعوته رفيقة جهاده، وصاحبته في هجرته الى الشام، ثمّ الى مصر، ليعودا مرّة أخرىٰ الى الشام فيستقرّ هناك؛ وليبدأ فصل من أعظم فصول تاريخ الانسان على يد النبيّ ابراهيم (ع) تسانده زوجه سارة، وتقف الى جنبه في جهاده ومعاناته وهجرته.

ويتحدّث القرآن عن قصّة الهجرة والحياة الأُسرية هذه، كما يتحدّث عن دور هاجر الزوجة الثانية لابراهيم (ع) ومشاركتها في كتابة الفصل المضيء من تاريخ الانسان في أرض الحجاز، في مكّة المكرّمة، حيث جاء بها من مصر.

لقد كانت قصّة هذه المرأة من أشهر قصص التاريخ، وأكثرها غرابة، وأعظمها كفاحاً وصبراً، فتألّقت في سماء التأريخ من خلال احتضان ابنها النبيّ اسماعيل، في وادي غير ذي زرع عند البيت المحرّم، ليكون أباً لأعظم نبيّ في تأريخ البشرية، وهو محمّد (ص)، ويسجّل القرآن تلك الحوادث بقوله: ﴿ربِّ إنّي أسكنتُ مِن ذريّتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم﴾. (ابراهيم / ٣٧)

ويتحدّث القرآن عن أمّ موسىٰ (ع) وتلقّيها للتلقين والتوجيه الالهي الذي أُلقي في نفسها، لتحفظ موسىٰ (ع) من ظلم فرعون، وتكريمها العظيم بإعادته (ع) لها؛ لتكون أُمّ النبيّ المنقذ، الذي حطّم بمساعدة الهية أعظم طاغوت في تأريخ البشرية. يعرضها القرآن محوراً أساسياً في

صنع هذه الحوادث، ثمّ يتحدّث عن زوجة فرعون (آسيا) وعن مريم أمُ المسيح عيسىٰ (ع) ويعرضهما نموذجاً ومثلاً أعلىٰ لأجيال البشرية، بقوله:

﴿وضربَ اللهُ مثلاً للّذينَ آمنوا امرأةَ فرعون إذ قالت ربِّ ابن لي عندكَ بيتاً في الجنّةِ ونجّني من فرعونَ وعمله ونجّني من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربِّها وكتبه وكانت من القانتين﴾. (التحريم / ١١ ـ ١٢)

لنقرأ هاتين الآيتين، ولنتأمّل بمحتواهما الفكري الرائع الذي تحدّث عن شخصية المرأة بإجلال واحترام، ليس بوسع أيّة حضارة ماديّة أن تمنحها لها. فقد قدّم القرآن المرأة الصالحة مثلاً عمليّاً للرِّجال والنِّساء، وطالبهم بالاقتداء بها. جاء ذلك في قوله: ﴿ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا﴾ انّ عبارتي ﴿ضرب الله مثلاً﴾ و﴿للّذين آمنوا﴾ كما هي واضحة، تبرزان لنا مفهوماً حضارياً إيمانياً فريداً في عالم الفكر والحضارة الخاص بالمرأة الصالحة. فقد جعلها مثلاً أعلىٰ، وقدوة للرّجال، كما هي قدوة النساء في العقيدة والموقف الاجتماعي والسياسي، فعرض نموذجين لسموّ شخصيّة المرأة المؤمنة ومكانتها في الفكر الاسلامي. عرض امرأة فرعون، ملكة مصر، وسيِّدة التاج والبلاط والسلطة والسياسة والدولة الكبرىٰ في ذلك العالم، التي تحدّت السلطة، ومريم ابنة عمران التي تحدّت كبرياء بني اسرائيل وتآمرهم، وحربهم الدعائيّة ضدّها.

وكما كان للمرأة دورها في حياة ابراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، نجد دورها واضحاً وعظيماً في حياة النبيّ محمّد (ص) ودعوته. فلقد جسّدت هذا الدّور العقيدي الفريد خديجة بنت خويلد القرشيّة (رض) التي كانت سيِّدة مجتمع مرموقة في مكّة المكرّمة، وثريّة صاحبة مال وثروة وتجارة ورأي، لقد كانت أوّل من حدّثها النبيّ (ص) ـ بعد عليّ (ع) ـ بدعوته، فآمنت به وصدّقته، وبذلت أموالها الطائلة لنصرة دعوته، ولاقت معه صنوف الأذىٰ والاضطهاد على امتداد عشر سنوات من حياتها المقدّسة، ودخلت معه الشِّعب، وتحمّلت معاناة الحصار الذي دام ثلاث سنوات، فكانت من أعظم الشخصيات في تاريخ الاسلام؛ لذا سمّى رسول الله (ص) العام الذي توفِّيت فيه عام الحزن.

ويُعظِّم المسلمون هذه الشخصية تعظيماً فريداً، ويقتدون بسلوكها ومواقفها الكريمة تلك.

وفي حوار له مع زوجه عائشة حول شخصيّة خديجة ردّ عليها قائلاً: «ما أبدلني الله خيراً منها، كانت أُمّ العيال، وربّة البيت، آمنت بي حين كذّبني النّاس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورُزِقتُ منها الولد، وحُرِمتُ من غيرها»(١).

ويتحدّث عنها مرّة أخرىٰ فيقول: «إنِّي لأحبُّ حبيبها»(٢).

وكما تحدّث عن موقعها في نفسه، وحركة دعوته، ومسار رسالته،

---

(١) إسعاف الرّاغبين المطبوع على هامش نور الأبصار للشبلنجي / ص ٩٦.

(٢) صحيح مسلم / ح ١٥ / ص ٢٠١ / دار احياء التراث العربي.

تحدّث عن ابنته فاطمة الزّهراء (ع)، فقال: «فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها»[1].

وسُئل مرّة: «يا رسول الله أيّ أهلك أحبّ إليك؟ قال: فاطمة بنت محمّد...»[2].

من هذه النصوص نفهم مقام المرأة وشخصيّتها في حياة النبيّ (ص) ودعوته، والموقف النبويّ هذا يمثّل في المفهوم الاسلامي أرقىٰ تقييم لمكانة المرأة الانسانية، واحترام شخصيّتها.

ولعلّنا نكتشف من خلال البيان القرآنيّ والتاريخي الموجز هذا أنّ المرأة في مفهوم القرآن والرسالة الالهية هي حاضنة عظماء الأنبياء (ع)، والمكلّفة بحفظهم، والعناية بهم، والوقوف الى جنبهم، تجسّد ذلك جليّاً في حياة ابراهيم وموسىٰ واسماعيل وعيسىٰ ومحمّد (ص)، أعاظم الأنبياء والمرسلين (ع)، وقادة الفكر والاصلاح والحضارة الالهية على هذه الأرض.

ولقد سجّل القرآن دور المرأة في حياة النبيّ (ص) ودعوته ومشاركتها له في الهجرة والجهاد مقروناً بدور الرّجل عند حديثه عن الهجرة والبيعة والدعوة والولاء، واستحقاق الأجر والمقام الكريم وعلاقة الرّجل بالمرأة... الخ في مئات الآيات من بيانه وحديثه في هذه

(١) سنن الترمذي، ومسند أحمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٥، وخصائص النسائي / ص ٢٥.

(٢) الطبري / ذخائر العقبىٰ / ص ٣٦.

الموضوعات، مثل قوله تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. (التوبة / ٧١)

﴿ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تَزِد الظّالمين إلّا تبارا﴾. (نوح / ٢٨)

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعىٰ نورهم بين أيديهم﴾.

(الحديد / ١٢)

في هذه الآيات يرفع القرآن المرأة الى أكرم مقام يمكن أن يحتلّه انسان في الدنيا والآخرة، وهو يتعامل معها كما يتعامل مع صنوها الرّجل على حدٍّ سواء، فهي والرّجل في مفهوم الرسالة الاسلامية (أولياء) يوالي بعضهم بعضاً، ولاءً عقائديّاً، يقومون بإصلاح المجتمع، ومحاربة الفساد والجريمة والانحطاط، ويحملون رسالة الخير والسلام والإعمار في الأرض.

وفي الآية الثانية يتوجّه النبيّ نوح (ع) إلى ربّه بالدعاء للمؤمنات، كما يتوجّه اليه سبحانه بالدعاء للمؤمنين، ومن محتوىٰ هذه المناجاة تشعّ مبادئ التكريم والحبّ والاحترام للمرأة، ذلك لأنّ الدّعاء لشخص يحمل هذه المعاني كلّها.

ويتألّق مقام المرأة مضيئاً، ويشرق مقدّساً على صفحات القرآن من خلال تصويره للمؤمنين والمؤمنات في هالة من نور،، يوم لقاء الربّ وساعة استحقاق الجزاء الذي يُقيّم فيه الانسان من خلال عمله وسعيه

في الحياة.

وهكذا نفهم أنّ القرآن قد منح المرأة الصالحة الحبّ والولاء، ودعىٰ لها بالمغفرة والعفو والرّحمة، وأحاطها بهالة من نور، وهي المـرأة التي مثالها آسية زوجة فرعون، ومريم أُمّ المسيح، وخديجة زوج الرّسـول، محمّد (ص) وفاطمة بنت محمّد (ص).

وندرك عظمة المرأة في الرسالة الاسلامية وفي حـياة النـبيّ (ص) بالشكل الذي يتسامي بشخصيّتها، ويمجّدها باحترام وتـقدير، حـين نعرف أنّ أوّل من استشهد في الاسلام هي (سميّة) أُمّ الصحابيّ الجليل، عمّار بن ياسر، قتلها أبو سفيان قائد الشرك والرجعيّة. فـقد دفـعت حياتها ثمناً لمبادئ الرسالة الاسلامية حين بدأت المواجهة بين الارهاب والطاغوت، وبين محمّد (ص) والمستضعفين والعبيد الذين وجـدوا في رسالة الاسلام المنقذ لحقوق الانسان، والمحرِّر مـن الجـهل واسـتعباد الانسان لأخيه الانسان. كما سارع العديد من النسـاء المسـتضعفات لتـصديق النـبيّ (ص) في بـدأ دعـوته، وتحـمّلن الأذىٰ والتـعذيب والاضطهاد، فهاجرن الى الحـبشة والى المـدينة المـنوّرة، ونـصرن الله ورسوله (ص) بكلّ ما أُوتين من قوّة.

وتتألّق شخصيّة المرأة الصالحة حين نُطلّ عـلى المـشهد المحـيط بالشهداء من خلال تصوير القرآن، وإخباره عنه بقوله تعالى:

﴿وأشرقت الأرض بنور ربِّهـا ووُضِـعَ الكِـتاب وجـيء بـالنبيِّين والشّهداء وقُضِيَ بينهم بالحقِّ وهم لا يُظلمون﴾. (الزمر / ٦٩)

انّ المرأة المسلمة لمّا تكتشف مكانتها الحقيقية في الاسلام بعد، وانّ الرّجل المسلم لمّا يعرف مكانة المرأة في الاسلام على حقيقتها أيضاً. لذا اختلّ ميزان التعامل والعلاقة، الذي لا يستقر إلّا بـالعودة الى مـبادئ القرآن ليعرف كلّ منهم حقّه ومكانته ومسؤوليّته تجاه الآخر وعلاقته به.

وانّ المرأة اللّاهثة وراء سراب الحضارة المـادية الذي يخـفي وراءه مستنقع السقوط والاضطهاد للمرأة، لو عرفت ما لها في الاسلام مـن قيمة وحقّ وتقدير لما نادت إلّا بالاسلام، ولعرفت أنّ المنقذ لكرامـة المرأة وحقّها هي مبادئ القرآن.

إعداد الشخصية النسويّة لأداء مهامها

إنّ لعمليّة الإعداد والتربية الأثر الفعّال في بناء وتكوين الشخصية وممارسة مهامها في المجتمع وتوجيه الطّاقة واللّياقات الانسانية الوجهة البنّاءة، وفي حال إهمال الفرد وحرمانه من عملية التربية والتوجيه والإعداد المدروس والمنظّم ينشأ نشوءاً عفويّاً تتحكّم به الظروف والمحيط والحوادث التي كثيراً ما تتسبّب بقتل شخصيّته وهدر طاقاته وإعاقة نموّه الاجتماعي، فيتحوّل إلى شخصية ضعيفة مهزوزة لا يستطيع أن يتعامل مع المجتمع والحوادث والمشاكل والفرص تعاملاً ناجحاً.

إنّ الصورة الممثّلة للإسلام التي يجب أن تُدرس أوضاع المرأة من خلالها هي صورة المرأة في القرآن والسنّة المطهّرة، التي تقوم على أسس عديدة هي:

١ ـ وحدة النوع الانساني، التي تقوم على أساس قوله تعالى:

﴿يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾. (النساء / ١)

ونستطيع أن نفهم عظمة هذه الآية ليس من ما تحويه من معنىً عظيم فحسب، بل ومن افتتاح الوحي سورة النساء التي تحدّثت عن شؤون المرأة بهذه الآية والتأسيس عليها، وهي من كبريات السور،

فهي تحوي (١٧٦) آية عدا البسملة.

واعتبار هذه الآية أساساً ومنطلقاً للفكر والتشريع والقيم التي نظّمت العلاقة بين الرّجل والمرأة وحدّدت مكانتها ودورها في المجتمع الاسلامي.

٢ ـ والأساس الثاني الذي يجب أن تُدرس على أساسه العلاقة بين الرّجل والمرأة هي علاقة الحبّ والودّ والرّحمة والاستقرار والطمأنينة الذي تمثّل في قوله تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾. (الروم / ٢١)

٣ ـ التكافؤ في الحقوق والواجبات: ﴿... ولهنّ مثل الّذي عليهنّ بالمعروف...﴾. (البقرة / ٢٢٨)

وهو يعني أنّ لكل من الرّجل والمرأة حقوقاً على الآخر، فلكلّ منهما حقّ وواجب، وعليه أن يؤدّي واجبه بأداء حقّ الآخر بالمعروف وحُسن المعاشرة. وبذا وازنَ الاسلام وضبط أسس العلاقة بهذا المبدأ التشريعي والأخلاقي الفريد. فثبّت أرقىٰ مبدأ لحقّ المرأة.

٤ ـ أمّا العلاقة الاجتماعية بين الرّجل والمرأة فهي علاقة الولاء، كما ثبّتها القرآن الكريم بقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾، ويكوّن القرآن هذه الصورة الرائعة لعلاقة الرّجل بالمرأة في المجتمع، فهي علاقة ولاء. يتمثّل فيها أرقىٰ درجات الحبّ والاحترام. فالوليّ في اللّغة هو النصير والمحبّ والصّديق، وبذا نفهم قيمة المرأة

الصالحة. فهي والرّجل سواء في هذا التعريف والتقويم القرآني.

إنّ من الظواهر الاجتماعية الملحوظة في عالمنا الذي خضع للاستعمار والاضطهاد وسيطرة الحكّام الطّغاة هي ظاهرة الاضطهاد والكبت والقهر والتسلّط، فانعكست آثارها على التعامل الاجتماعي والتربية في المدرسة والبيت وعلاقات العمل والتنظيم الاجتماعي بشتّىٰ صوره.

فغياب الحريّة، والاستهانة بشخصيّة الآخرين واضطهادهم، وعدم احترام إرادتهم، هي ظاهرة مألوفة في مجتمعاتنا الآن، ولا تثير الرّفض والاستنكار إلّا بحدود لا تتناسب وتلك الظاهرة.

وتحت وطأة تلك الظاهرة، كان ما أصاب المرأة أشدّ فداحة ممّا يلاقيه الرّجل، فقد ورثت مجتمعاتنا مخلّفات من عادات وتقاليد ومفاهيم متخلِّفة تعاملت من خلالها مع المرأة بالاستهانة بشخصيّتها وقدراتها وكفاءاتها الانسانية، بل وتعامل معها الرّجل في بيئات كثيرة على أنّها مخلوق دون مستوىٰ إنسانيّة الرّجل. فنشأت مفاهيم عزل المرأة عن الحياة الاجتماعية المتطوِّرة في حقب التخلّف وغياب الوعي والفهم الاسلامي في أوساط المسلمين وكنتيجة طبيعية للوضع الفكري والسياسي والاجتماعي العام. غير أنّ ما يثير الاستغراب هو نسبة تلك المفاهيم، وما تعانيه المرأة من حرمان، وعزل اجتماعي، إلى الاسلام من قِبَل بعض الكتّاب ودعاة الفكر المادي.

وتحت وطأة ظروف الجهل والتخلّف خضع المسلمون للغزو الفكري المادي بمدرستيه الجاهليّتين الشرقية والغربية، فكان في طليعة ما حمل هذا الغزو هو محاربة الفكر الاسلامي، والتركيز على أوضاع

المرأة في العالم الاسلامي، فانصبّ اهتمام المؤسّسات الإعلامية والثقافية غير الاسلامية، والأحزاب العلمانية، ودعاة الماديّة والإباحية على سحب المرأة من تلك الظروف والأوضاع التي تعيشها في مجتمع متخلّف إلى دائرة الإباحيّة، وإسقاط المرأة، والمتاجرة بقضيّتها سياسياً وحضارياً، بعد أن تشخّص لديهم أنّ إفساد المرأة عن طريق الاباحة الجنسيّة، تحت شعار: (حريّة المرأة) و(حقوق المرأة) هو الطريق لإفساد الجيل من الذكور والأُناث؛ ذلك لأنّ المرأة هي مصدر الإغراء والإثارة الجنسية، كما أنّ إشاعة الإباحة الجنسية، والتي اخترعوا لها مصطلح (الحقوق الجنسية)، هي من أخطر وسائل هدم الأُسرة، وتشريد الأبناء، وتدمير العلاقات الانسانية المتينة بين الرّجل والمرأة.

وهكذا يواجه مشروع إعداد وتربية المرأة ثلاثة اتجاهات هي:

١ ـ الاتجاه الذي أفرزته ظروف التخلّف والوعي الحضاري غير السليم، وهو الاتجاه القائم على أساس الاستهانة بشخصيّة المرأة، وكبت ارادتها، وتغييب دورها الاجتماعي والانساني إلى جنب الرّجل. وهو الاتجاه المتوارث من التقاليد والأعراف الناشئة عن الجهل بالاسلام وظروف التسلّط، واستعلاء الرّجل، والتخلّف الفكري.

٢ ـ الاتجاه المادي: الذي تنادي به الحضارة المادية الغربية، وهو الاتجاه المنادي بالإباحة الجنسية الذي يقود الى تدمير العلاقات الأُسرية، وتسليط الاضطهاد والظلم على المرأة بأسلوب وطريقة أخرىٰ، تحت شعار (حقوق المرأة) و(الحقوق الجنسية)... الخ، والذي

جعل المـــرأة ضـحيّة الاسـتمتاع والاغـتصاب الجـنسي والأمـراض الجنسية.

٣ـ الاتجاه الاسلامي: وهـو الاتجـاه الذي آمـن بـوحدة النـوع الانساني، ونظَّم العلاقة بين الرّجـل والمـرأة عـلى أسـاس الاحـترام والتعاون في بناء المجتمع، وتنظيم العلاقات الجـنسية لا عـلى أسـاس إباحة جسد المرأة، والاستمتاع به، وهدم أسس الروابط الأُسريّة، كما يحدث الآن في أوربا وأمريكا وروسيا والصين واليابان، وغيرها مـن بلدان العالم المتأثِّرة بتيّار الحضارة الماديّة، بـل عـلىٰ أسـاس احـترام انسانيّة المرأة، ومنحها حقّها كإنسان له خصائصه وحقوقه، ومقوّمات شخصيّته.

البناء من خلال العلاقة الأُسريّة

لقد وضح لدينا أنّ المجتمع يقوم بشكل أساس على ثلاث ركـائز أساسيّة هي:

١ ـ التفاعل بين الحالتين الأُنثويّة والذكريّة، بما فيهما من خصائص نفسية وجسدية، وانّ سعادة المجتمع واستقراره النفسي، ونموّه الاجتماعي والمادي وتطوّره الانتاجي، واستقامة سـلوكه يـرتبط إلىٰ حـدّ بـعيد بالتفاعل السَّويّ المتبادل بين الحالتين النفسيّتين، الحالة الأُنثوية والحالة الذكرية.

٢ ـ رابطة الفكر والثقافة المشتركة.

٣ ـ تبادل المنافع بين أفراد المجتمع بمختلف عـناصره مـن ذكـور وأناث.

وتأسيساً على الركيزتين، الأُولىٰ والثالثة، نشأت الوظيفة الاجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع، ذكوراً وأناثاً، بما يناسب قدراته الجسـدية والعقلية وميوله النفسية.

ومن هذه المـنطلقات تـتحرّك المـرأة للـمشاركة في بـناء الأُسرة والمجتمع، وانّ أوسع مجالات هذه المشاركة هي الأُسرة.

وقد توصّلت الدراسات النفسية إلى ما بيّنه القرآن الكريم، من أنّ الأُسرة هي قاعدة بناء المجتمع ومؤسّسة من أهم مؤسّساته والأساس

الذي تُبنىٰ عليه الحياة الاجتماعية؛ لذا وضّح القرآن ذلك ووضع قواعد العلاقة الزوجية وبيّن الحقوق والواجبات لكلّ من الرّجل والمرأة؛ ليمكنهما من العمل، وبناء الحياة الاجتماعية السعيدة.

قال تعالىٰ:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾. (الروم / ٢١)

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها﴾.

(الأعراف / ١٨٩)

﴿الرِّجال قوّامون على النِّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ...﴾.

(النساء / ٣٤)

﴿ولهنّ مثل الّذي عليهنّ بالمعروف﴾. (البقرة / ٢٢٨)

﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾. (النساء / ١٩)

﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾. (الطّلاق / ٧)

﴿وتعاونوا على البرِّ والتقوىٰ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

(المائدة / ٢)

وكما تحدّث القرآن في الأُسس والروابط الانسانية والقانونية في الأُسرة، تحدّثت السنّة النبويّة عن ذلك، نذكر منها ما روي عن الرسول الكريم (ص): «كلّكم راع فمسؤول عن رعيّته، فالأمير الذي على الناس

راع وهو مسؤول عن رعيّته، والرّجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيِّده، وهو مسؤول عنه، ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته»[1].

وما روي عن الصادق (ع): «من خُلق الأنبياء حبّ النساء»[2].

وما روي عنه (ع) أيضاً: «ما أظنّ رجلاً يزداد في الإيمان خيراً إلّا ازداد حبّاً للنساء»[3].

ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ البناء الذي تمارسه المرأة في المجتمع تارة يكون عملاً مباشراً، وأخرىٰ من خلال علاقتها النفسيّة والأخلاقيّة بالزّوج والأبناء. فالزّوجة التي توفِّر أجواء الراحة وحُسن المعاشرة للزّوج وتحقِّق له الودّ والمحبّة والاستقرار النفسيّ كما ينبغي للعلاقة بينهما، فانّ مثل تلك الأجواء النفسيّة تؤثِّر على شخصيّة الزّوج وعلاقته الاجتماعيّة بالآخرين وفي قدرته على الانتاج والعطاء، ذلك لأنّ الوضع النفسيّ للانسان يؤثِّر في مجمل نشاطه وعلاقاته بالآخرين. أمّا حينما تكون الحياة الزوجيّة مليئة بالمشاكل والقلق والتوتّر، فانّ ذلك ينعكس على شخصيّة الزّوج وفي عمله وانتاجه وعلاقاته بالآخرين. وكما تنعكس الأجواء النفسيّة في الأُسرة على الزّوج، تنعكس كذلك

---

(١) البخاري / ج ٣/ ص ١٩٦.

(٢) الكليني / الفروع من الكافي / ج ٥/ ص ٣٢٠/ ط ٣.

(٣) المصدر نفسه.

على الأبناء. فانّ الطّفل الذي ينشأ في جوّ الكراهيّة والتوتّر والمشاكل وسوء المعاملة، من الصّعب أن يكون شخصيّة سويّة في سلوكه وعلاقاته مع الآخرين؛ وفي توجيه طاقاته الفكريّة والجسديّة، فكثيراً ما يتحوّل الطّفل بسبب ظروف التربية السيّئة إلى إنسان عدوانيّ شاذّ أو كسول غير منتج أو متسكّع محدِث للمشاكل والجرائم. في حين تساهم التربية السليمة في تكوين الشخصيّة السليمة، فتؤثّر تلك التربية في مستقبل الطفل العلمي والاجتماعي والاقتصادي. لذا كان دور المرأة فعّالاً في البناء الاجتماعي من خلال التربية وإعداد العناصر الصالحة للمجتمع، وكذلك من خلال توفير الأجواء السليمة للزّوج.

فالقرآن الكريم والسنّة المطهّرة حدّدا في هذه النصوص الأُسس والقواعد القانونية والنفسية والتربوية والتنظيمية والادارية للأُسرة، ومن خلال ذلك تساهم المرأة في بناء المجتمع.

فبناء الأُسرة يقوم على أسس:

١ ـ الحبّ والودّ والرّحمة والاحترام بين الزوجين.

٢ ـ للمرأة من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات.

٣ ـ للرّجل القوامة ودور القيادة والإشراف الاداري على البيت.

٤ ـ التعاون على شؤون الحياة الزوجية.

٥ ـ الاعتدال في النفقة والحفاظ على اقتصاد الأُسرة.

٦ ـ الشعور بالمسؤولية، شعور الزوج بمسؤوليته تجاه زوجته وأفراد أسرته، وشعور الزوجة بالمسؤولية تجاه زوجها وأبنائها وأسرتها.

فهي مسؤولة عن رعاية البيت والأبناء، والمشاركة في تربيتهم تربية صالحة، والتعامل معهم بالحبّ والعطف والرعاية.

المرأة واقتصاد الأُسرة

انّ من المشاكل الأساسية للمجتمع البشري هـي مشكـلة المـال والدّخل الفردي والجماعي والموازنة بين الوارد والنّفقة، وينسحب ذلك على اقتصاد الأسرة وموازنتها المالية في النفقة والاستهلاك. فالإسراف والتبـذير بالطّعام والشّراب والزينة واللّباس والسّـكـن والكمـاليّات والخدمات هي من أخطر مشاكل الانسان، فـهناك البـذخ والتـبذير والإسراف والصّرف غير المتقن الذي يرهق اقـتصاد الأُسرة والأُمّـة والدّولة، ولا يتناسب في كثير من الأحيان مع دخل الأُسرة وواردها، ولكي تنتظم موازنة المجتمع الاقتصادية، دعا الاسلام الى الاعتدال في النفقة وحرّم الإسراف والتبذير كما حرّم التقتير والبخل والحرمان.

ومن المشاكل الأساسية في الانفاق هـي مشكـلة إنـفاق الأُسرة وميزانيّتها التي تتحمّل المرأة المسؤولية الكـبرىٰ في تـنظيمها وتحـديد طبيعتها.

لقد وضعت الشريعة الاسلامية الأُسس العامّة لترشـيد الانـفاق بإطلاقه، كما حدّدت النظام الأساسي لإنفاق الأُسرة وميزانيّتها بشكل محدّد، نذكر من ذلك وصف القرآن لعـباد الرّحمٰـن، المـثل الأعـلىٰ في الانضباط والالتزام الذي وضّح فيه منهجهم القويم في الانـفاق الذي دعا الفرد والجماعة الى الالتزام به، قال تعالى:

﴿ والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .
(الفرقان / ٦٧)

وفي موضع آخر يحرِّم القرآن الإسراف ويشدِّد على ذلك بقوله :

﴿ وكلوا واشربوا ولا تُسرِفوا ﴾ . (الأعراف / ٣١)

وبقوله :

﴿ وآتِ ذا القربىٰ حقّه والمسكين وابن السّبيل ولا تبذِّر تبذيراً * إنّ المبذِّرين كانوا أُخوان الشّياطين وكان الشيطان لربِّه كفوراً ﴾ .

(الإسراء / ٢٦ ـ ٢٧)

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسطِ فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ . (الإسراء / ٢٩)

﴿ أسكنوهنّ من حيثُ سَكنتُم مِن وُجْدِكُم وَلا تَضارُوهُنَّ لِتُضَيِّقوا عَلَيهِنّ وَإن كُنّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتوهُنَّ أُجُورَهُنّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإنْ تعاسَرْتُمْ فَستُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ * لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلّا ما آتاها سَيَجْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ . (الطّلاق/٦ـ٧)

وهكذا تتحدّد الأُسس العامّة لميزانيّة الأُسرة والصّرف والنّفقة ضمن اطارين من التقنين والتربية والتوجيه الأخلاقي، وهما الاطار الاجتماعي والاطار الأُسري.

ويبرز دور المرأة في تدبير شؤون المنزل والاقتصاد المنزلي، في

حرصها على ماليّة الأُسرة ومراعاتها الاعتدال في الصّرف والكماليّات ووسائل الزينة والمباهات في الصّرف وحبّ الظهور.

فانّ بإمكان الأُم أن توفّر قسطاً من وارد الأُسرة وتخفّف عن الرّجل تحمّل الديون بتقليل الصّرف والتأثير على الأبناء بل والزّوج في رسم سياسة انفاق معتدلة للأُسرة توازن بين وارداتها ومقادير الاستهلاك والإنفاق.

انّ كثرة الاستهلاك والإسراف والتبذير في الأُسرة ينعكس أثره ليس على الأُسرة فحسب، بل وعلى الوضع الاقتصادي العام في المجتمع والدولة، إذ ترتفع القوّة الشرائية في السوق نتيجة الانفاق والاستهلاك المرتفع فتنخفض قيمة النقد وترتفع أسعار السّلع والخدمات فيتصاعد حرمان الفقراء وتغرق الأُسر في الديون والمشاكل الاجتماعية كما تواجه العملة حالة التضخّم النقديّ وتنشأ المشاكل السياسية والأمنية والأخلاقية نتيجة لاضطراب الوضع الاقتصادي في المجتمع.

انّ تثقيف المرأة وتخصيص حصص خاصّة في المنهج الدراسي للاقتصاد المنزلي الاسلامي وتثقيف المرأة على الاعتدال في النّفقة وتخطيط ميزانية الأُسرة يساهم في بناء الوضع الاقتصادي وإنقاذه من المشاكل، لا سيّما مشكلة الغلاء وحرمان الطبقات الفقيرة.

وبذا تساهم المرأة في بناء المجتمع عن طريق توجيه وتنظيم اقتصاد الأُسرة، والاعتدال في النّفقة جرياً على منهج القرآن ودعوته الحكيمة. ولتؤدّي المرأة مسؤوليّتها كراعية لبيت زوجها، ومسؤولة عنه، كما جاء في البيان النبويّ الكريم.

العمل والشريعة الاسلامية

لقد دعت الشريعة الاسلامية إلى العمل، وأكّدت الحثّ بما لا مزيد عليه من النصوص والمفاهيم والمواقف العمليّة.

منها قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النّشور﴾. (الملك / ١٥)

ومنها قوله تعالى: ﴿فإذا قُضيت الصّلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾. (الجمعة / ١٠)

ومنها قوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدّار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدّنيا﴾. (القصص / ٧٧)

وكما دعت الشريعة الاسلاميّة الى العمل والانتاج، أوضحت اختلاف الطّاقات والمؤهّلات البشريّة، وضرورة التكامل بتبادل المنافع بين أفراد النوع البشريّ، قال تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً﴾. (الزخرف / ٤٣)

وكما حثّ القرآن على العمل والانتاج وتبادل المنافع، اعتبر الرسول محمّد (ص) العمل والانتاج جهاداً وعبادة، فقد جاء ذلك في ما رُوي عنه (ص) من قوله:

«الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[1].

---

(١) الكليني / الكافي / ج ٥ / كتاب المعيشة / ص ٦٧.

«العبادة سبعة أجزاء، أفضلها طلب الحلال»[1].

وقد كرّس الفقهاء جهداً كبيراً من دراساتهم وتحليلاتهم للعمل والانتاج، فاستنبطوا أحكام الشريعة وموقفها من العمل الانتاجي والخدمي، وقسّموه من حيث الحكم الشرعيّ إلى خمسة أقسام هي:

١ ـ الوجوب: اعتبرت الشريعة الاسلامية العمل من أجل سدّ الحاجة وإشباعها للنفس، أو لمن تجب إعالته، واجباً، بل أوجبت على المدين القادر على العمل أن يعمل من أجل قضاء دينه.

٢ ـ اعتبرت العمل من أجل التوسعة في النفقة، وتوفير الرّفاه، وعمل البرّ والمعروف، من المستحبّات التي حثّت الانسان على مزاولته.

٣ ـ حرّمت الشريعة الاسلامية العمل في الأشياء المحرّمة؛ كصناعة الخمر والمخدِّرات والرّقص والزّنا... الخ. كما حرّمت كل عمل يقود الى الوقوع في الحرام، وإن كان محلّلاً بذاته.

٤ ـ اعتبرت الشريعة الاسلامية بعضاً من الأعمال عملاً مكروهاً بذاته، أو لأجل غيره.

٥ ـ وفيما عدا ما ذكرنا آنفاً، فانّ الأصل الذي تبنّته الشريعة الاسلامية في العمل هو الإباحة؛ وبذا يكون العمل من أجل جمع المال وزيادة الثروة أمراً مباحاً، ما زال يجري وفق المباح في الشريعة.

---

(١) الحرّاني / تحف العقول عن آل الرسول / مواعظ النبيّ (ص).

وعند دراسة وتحليل مفاهيم الآيات والنصوص لا نجد فيها ما يمنع المرأة من العمل، ويخصِّص الإباحة، بـالرّجل، وإن ورد حثّ الرّجـل ومخاطبته في بعض النصوص.

عمل الزّوجة

حدّدت الشريعة الاسلاميّة الأحكام الخاصّة بعمل الزّوجة بالآتي:

١ ـ من حقّ الزّوجة أن تشترط على الزّوج أن لا يمنعها من العمل في عقد الزّواج.

٢ ـ أن يوافق الزّوج على عمل زوجته بالتفاهم بينهما؛ إذا أرادت العمل من غير شرط مسبق. وفي حال عدم موافقة الزّوج على عمل زوجته فلا يعني ذلك أنّ الشريعة الاسلامية هي التي منعت المرأة من العمل، بل إنّ ذلك يعود للعلاقة بين الزّوج وزوجته.

٣ ـ إذا تزوّجت المرأة، وكانت قد أجّرت نفسها للخدمة مدّة معيّنة مع آخرين، فانّ عقد العمل لا يبطل، وإن كـان العـمل مـنافياً لحـقّ الزّوج.

٤ ـ إذا تعاقدت الزّوجة على إجارة نفسها للخدمة من غير عـلم الزّوج، توقّفت صحّة الاجازة على موافقة الزّوج فـيما يـنافي حـقوق الزّوج، وينفذ العقد فيما لا ينافي حقّه.

٥ ـ يسري حكم إجارة المرأة نفسها للخدمة على كل عقد للعمل تبرمه المرأة.

ومن خلال دراسة أحكام الشريعة لا نجد نصّاً يحرِّم العمل على المرأة بالعنوان الأوّلي. وانّما يستدلّ من يحرِّم العمل على المرأة خارج البيت، ويعترض البعض بأنّ عمل المرأة ضمن مؤسّسات العمل المختلطة يقود الى الفساد والوقوع في المحرّمات. أي أنّ الحرمة جاءت بسبب ما يؤدِّي إليه الاختلاط بين الرِّجال والنِّساء خلال ممارسة الأعمال من الوقوع في الحرام.

وبذا تكون تلك الحرمة حرمة بلحاظ العنوان الثانوي لا بلحاظ العنوان الأوّلي، وبعبارة أخرىٰ هي من باب تحريم مقدّمة الحرام (سدّ الذرائع)، أو تحريم المباح الذي يقود الى الوقوع في المحرّم.

وينبغي أن نشير هنا إلى أنّ العمل الذي يقود إلى الوقوع في الحرام هو محرّم على كلا الجنسين، الرّجل والمرأة. وعندئذٍ يستوجب الموقف منع الاختلاط، وتوظيف العنصر الذي يحتاجه العمل بغضّ النظر عن كونه رجلاً أو امرأة.

لقد اتّضح لنا من خلال تفسير الآية الكريمة: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً﴾ انّ الاختلاف في الطاقة والمهارة والاستعداد للعمل تختلف من فرد لآخر، بغضّ النظر عن كونه رجلاً أو امرأة، وأنّ تبادل المنافع وإشباع الحاجات الماديّة والخدميّة يتم بين أفراد المجتمع جميعاً. ويقدِّم كل فرد، بغضّ النظر عن جنسه (ذكر أو أُنثىٰ) جهده، وطاقته الممكنة؛ لإشباع حاجة المجتمع؛ ليشبع هو أيضاً حاجته من خلال عملية التبادل المادّي والخدمي في المجتمع،

فالفلّاح يقدِّم الانتاج الزراعي، والمهندس والعامل الفنّي يقومان بصنع الآلة، والطبيب يقدِّم العلاج، والمعلِّم يؤدِّي وظيفته بتعليم الأجيال، والتاجر يوفِّر السلع في الأسواق، والجندي يدافع عن الأوطان، والحارس يكافح اللّصوص... الخ.

إنّ دراسة وتحليل الأحكام والمفاهيم الاسلامية جميعها تؤكِّد لنا أنّ الاسلام لم يحرِّم نوعاً من العمل، أو العلم على المرأة، بعد أن أباحه للرّجل، فللمرأة أن تمارس أي عمل من الأعمال، كالزراعة والصناعة والطب والهندسة والإدارة والوظائف السياسية[1] والخياطة وقيادة الطائرة والسيارة والتعليم والتربية... الخ.

فليس في الاسلام عمل انتاجي، أو خدمي محلّل للرّجل، ومحرّم على المرأة. فالكل في أحكام الشريعة سواء في ذلك، انّما الفرق بين الرّجل والمرأة في بعض الواجبات التي كلّف بها الرّجل، أو المرأة، أو في بعض الصلاحيّات التي بُنيت علىٰ أسس علمية روعي فيها التكوين النفسي والعضوي لكل منهما، وضرورة تنظيم الحياة الاجتماعية وإدارتها.

فانّ الأصل في الشريعة الاسلامية هو إباحة العمل، بل ايجابه في بعض الأحيان، إلّا ما حرّم في الشريعة أو ما أدّى الى الوقوع في المحرّم.

---

(١) يستثني الفقهاء من ذلك عدم جواز تولِّي المرأة ولاية أمر المسلمين والقضاء. ويذهب البعض إلىٰ أنّ ليس هناك نصّاً يعتمد عليه في منع المرأة من تولِّي القضاء.

وإذا كانت هناك صيحات تحريم العمل من قِبَل البعض على المرأة، فانّ ذلك يحتاج الى دليل، وليس هناك من دليل شرعي يدل على التحريم.

والتأمّل العلمي في تحليل العلماء للواجبات، وتقسيمها الى واجب عيني وكفائي، يتّضح لنا من خلال دراسة الواجب الكفائي أنّ النظام الاسلامي أوجب على الأفراد من غير أن يحدِّد جنس الفرد، رجلاً كان أو امرأة، أوجب عليهم توفير حاجة المجتمع بشتّى صنوفها بشكل جماعي؛ كالطب والهندسة والتعليم والزراعة والتجارة والنقل والأمن وغيرها من الأعمال التي يحتاجها المجتمع، بل ويتحوّل الواجب الكفائي الى واجب عيني على الفرد، أو الأفراد الذين تنحصر فيهم القدرة على أداء ذلك الواجب، وبغضّ النظر عن جنس الرّجل أو المرأة.

من ذلك نفهم أنّ تقسيم العمل الوظيفي في المجتمع، وأداءه يقوم على أساسين: شخصيّ وجماعيّ، وفي كلتا الحالتين لم يفرِّق الاسلام بين الرّجل والمرأة، بل في مجال بعض الواجبات الكفائية، كواجب الطب والتعليم النسويّين مثلاً يتوجّه الوجوب فيهما الى الجنس النسويّ.

المرأة والعمل السياسي

من المسائل الأساسية التي وضعت للنقاش والحوار الفكري والحضاري في القرن العشرين هي مسألة حقوق المرأة، ومنها المشاركة في الحياة السياسية، والعمل السياسي.

وممّا يثير الاستغراب أنّ أولئك المنادين بحقوق المرأة السياسية يوجِّهون التهمة الى الفكر الاسلامي، والمعتقدات الاسلامية، ونعتها بأنّها أفكار ومعتقدات تحرم المرأة من المشاركة في الحياة السياسية، وتمنع عليها العمل السياسي. ودعموا مزاعمهم تلك بالأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يشاهدونها في البلدان الاسلامية، من غير أن يفرِّقوا بين الاسلام كنظام وشريعة ومبادئ، وبين الكثير من أتباع الاسلام الذين لا يمثِّلونه في سلوكهم السياسي والاجتماعي، وأنّ الذي يشاهدونه في مجتمع المسلمين، هو مختلف عمّا ينبغي أن يكون في المجتمع الاسلامي، فصورة المرأة في مجتمعات المسلمين تلك، وطريقة التعامل معها، وقيمتها في المجتمع في مساحته المخالفة للاسلام هي وليدة تصوّرات ومفاهيم نشأت عن أعراف وتقاليد وممارسات اجتماعية لا تمثِّل الاسلام، لا سيّما الموقف من المرأة في الحقل العلمي والثقافي والاجتماعي والسياسي، وعلاقتها بالرّجل.

إنّ السياسة في الفكر الاسلامي تعني رعاية شؤون الأُمّة في مجالاتها الحيوية كافّة، وقيادة مسيرتها في طريق الاسلام؛ لذا فهي

مسؤولية اجتماعية عامّة، كلّف بها المسلمون جميعاً. وتلك المسؤولية هي في مصطلح العلماء واجب كفائي، يتوجّه فيه الأمر والخطاب لعموم المسلمين، بغضّ النظر عن كونهم رجالاً ونساءً إلّا ما ورد من استثناء.

. مثل قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدِّين ولا تتفرّقوا فيه﴾. (الشورى/١٣)

ومثل قوله تعالى: ﴿وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم﴾. (النور / ٥٥)

وقوله: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم﴾.

(النساء / ٥٩)

وفي كل تلك الآيات يتوجّه الخطاب فيها الى عموم المسلمين رجالاً ونساءً، فإقامة الدِّين بعقيدته وبكامل أنظمته السياسية والاجتماعية والتعبّدية... الخ، هي مسؤولية الجميع، وخطاب الطاعة لأُولي الأمر الوارد في الآية التي تحدّثت عن الطاعة هو متوجّه الى جميع المكلّفين، والوعد بالاستخلاف متوجِّه الى كل الذين آمنوا وعملوا الصالحات رجالاً ونساءً.

وقوله تعالى في سورة الممتحنة، الآية ١٢: ﴿يا أيُّها النّبيُّ إذا جاءَكَ المؤمناتُ يُبايِعْنكَ على أن لَا يُشرِكْنَ باللهِ شَيْئاً وَلا يسْرِقْنَ وَلا يَـزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِـبُهْتانٍ يَـفْتَرِينَهُ بَـيْنَ أَيْـدِيهِنَّ وَأَرْجُـلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَٱسْـتَغْفِرْ لَهُـنَّ ٱللهَ إِنَّ اللهَ غَـفُورٌ رَحِـيمٌ﴾، ممارسة عملية ودليل قرآنيّ نفّذه الرسول (ص) في حياته التبليغية

والسياسية، على قبول بيعة المرأة لوليّ الأمر بل ووجوبها، فانّ البيعة في هذه الآية هي بيعة طاعة لوليّ الأمر، على الالتزام بأحكام الشريعة وقوانينها، والإقرار بولايته، وتمثِّل البيعة أبرز مصاديق الحقوق السياسية في المجتمع الانساني.

ولعلّ من أوضح الأدلّة على دور المرأة السياسي وحقوقها السياسية في الاسلام، ما جاء في آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآيات الولاية والولاء العامّة الدلالة والشاملة للرِّجال والنِّساء.

وقد استدلّ الفقيه والمفكِّر الاسلامي الكبير الشهيد السيد محمّد باقر الصدر (قدِّس سرِّه) بهذه الآية على أنّ كل مؤمن ومؤمنة مؤهّل للولاية السياسية، وأنّ الرِّجال والنِّساء سواء فيها، جاء ذلك في نص قوله:

«وتمارس الأُمّة دورها في الخلافة في الاطار التشريعي للقاعدتين القرآنيّتين التاليتين: ﴿وأمرهم شورىٰ بينهم﴾ و ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾.

فانّ النص الأوّل يعطي الأُمّة صلاحية ممارسة أمورها عن طريق الشورىٰ، ما لم يرد نص خاص على خلاف ذلك النص[1]، والنص الثاني يتحدّث عن الولاية، وانّ كل مؤمن ولي الآخرين. ويريد بالولاية

(١) كالنص الوارد عن الرسول (ص) في إمامة أهل البيت (ع) في حجّة الوداع وغيره. راجع مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨، وسنن ابن ماجة / ج ١ / ص ٤٣ / ح ١١٦، ومستدرك الحاكم / ج ٣ / ص ١٠٩.

تولّي أموره بقرينة تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه. والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية. وينتج عن ذلك الأخذ بمبدأ الشورىٰ، وبرأي الأكثرية عند الاختلاف»[1].

وقد دخلت المرأة المسلمة ميدان السياسة على عهد رسول الله (ص)، كما سجّلت آية البيعة ذلك، فقد دخلن الميدان السياسي، وشاركن في الحياة السياسية، دخلت المرأة المسلمة أيضاً وأبدت رأيها في مسألة الإمامة والسياسة والخلافة بعد وفاة الرسول (ص)، وأفضل الشواهد على ذلك هو موقف السيدة فاطمة الزهراء (ع) بنت الرسول الأكرم محمّد (ص) وزوج الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)، التي دخلت الميدان السياسي بعد وفاة أبيها (ص)، فكانت الى جنب عليّ في تحرّكها ومواقفها السياسية فانظمّ إليها جمع من المهاجرين والأنصار، فتشكّل ذلك الوجود العقيدي والسياسي المعارض والرّافض لبيعة السّقيفة والدّاعي لإعادة البيعة للإمام عليّ (ع)، وقد كانت تتّصل بالأنصار في بيوتهم، وتطالبهم بالبيعة لعليّ (ع) معارضة بيعة السقيفة.

فقد جاء في بعض مصادر التاريخ:

«... وخرج عليّ كرّم الله وجهه، يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار، تسألهم النّصرة، فكانوا يقولون: يا

---

(١) الشهيد السيد محمّد باقر الصدر/ الاسلام يقود الحياة/ ص ١٧١.

بنت رسول الله (ص)، قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل*، ولو أنّ زوجك، وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا عنه»[1].

كما سجّلت كتب التاريخ حوارات ومواقف سياسية رافضة دارت بين فاطمة الزهراء (ع) والخليفة أبي بكر وعمر بن الخطّاب.

وبالتأمّل في الآيتين (آية الشورىٰ، وآية ولاية المؤمنين) كما وضح من تفسير الشهيد الصدر لهما، نجدهما أساساً فكريّاً واسعاً للحقوق السياسية، بل للواجبات السياسية للأُمّة بكل عناصرها، الرجاليّة والنسائية، علىٰ حدٍّ سواء. والآية الكريمة الأخرىٰ التي توجب العمل السياسي بمستوىٰ الكفاية على الرّجال والنِّساء كمعارضة الحكّام الطّغاة، وإقامة الدولة الاسلاميّة وتوجيه الرأي العام السياسي... الخ، هي قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أُمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون﴾.

انّ القرآن الكريم في هذه الآية يوجب أن تكون من المسلمين أُمّة (جماعة) تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر. وهذه الجماعة شاملة للرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء، بدليل قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون﴾.

ومن الواضح في الفكر الاسلامي أنّ المساحة السياسية هي مساحة

---

* يعنون بذلك (أبو بكر).

(١) ابن قتيبة الدينوري / الإمامة والسياسة / ج ١، ص ١٩.

واسعة تضمّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ اللّذين يشملان الدعوة إلى إقامة النظام الاسلامي، ومواجهة الحكّام والأنظمة الظالمة والمنحرفة، كما يشمل المشاركة في ادارة السلطة، وتخطيط سياسة الأُمّة، والتثقيف السياسي والشورىٰ والبيعة كاختيار الحاكم وممثّلي الأُمّة، والمشاركة في التمثيل عن الأُمّة في المجالس التي نسمّيها بمجالس الشورىٰ (البرلمان) والتي تمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منطلق سياسي... الخ.

ومن دراسة الظروف والأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يجب العمل في اطارها، نستنتج أنّ هذه الأُمّة (الجماعة) التي دعا القرآن الى إيجادها بقوله: ﴿ولتكن منكم أُمّة...﴾ لا تستطيع أن تمارس دورها كجماعة، كما أراد القرآن إلّا إذا كانت جماعة منظّمة، تمارس أعمالها وفق وسائل وأساليب متطوِّرة، تتناسب وظروف المرحلة التاريخية التي يعيش فيها المسلمون.

وهذا يعني وجوب مشاركة المرأة بقدر الكفاية في الجماعات والنشاطات السياسية وفي الهيئات والتنظيمات والمؤسّسات الفكرية والاصلاحية المختلفة، إذا تعذّر أداء هذا الواجب بشكله الفاعل إلّا من خلال ذلك.

ومن هذه الأُسس القرآنية نفهم أنّ الحياة السياسية مفتوحة أمام المرأة في الاسلام، كما هي مفتوحة أمام الرّجل، وعلى المستويين ـ الواجب العيني والكفائي ـ أو إباحة المشاركة في الحياة السياسية بكل مجالاتها.

ونستطيع أن نورد مثلاً عمليّاً لحقوق المرأة السياسية في الاسلام، هو مشاركة المـرأة الفـعلية في الحـياة السـياسية في جمـهورية إيـران الاسلامية، فقد منحها الدستور حق الانتخاب والمشاركة في البرلمـان (مجلس الشورىٰ) وفي الوظائف والنشاطات والتنظيمات السياسية، بل وشاركت المرأة في الثورة الاسلامية على النظام الشاهنشاهيّ، شاركت في الاضرابات والتـظاهرات، وتـوزيع المـنشورات، وإلقـاء الخـطب، فكانت مع الرّجل في كفاحه السياسي خطوة بخـطوة، فـنالت كـامل حقوقها السياسية في ظلّ النظام الاسلامي.

خاتمة

وفي الختام ليس للمرأة من حقوق وكرامة، إلّا في الاسـلام. الذي ثبّت مبدأ الحقوق والكرامة لأفراد النوع البشري كافّة بقوله: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر وفضّلناهم على كـثير ممّـن خـلقنا تفضيلاً كثيراً﴾.

وبقوله: ﴿ولهنّ مثل الّذي عليهنّ بالمعروف﴾.

وبقوله (ص): «مِن خُلُق الأنبياء حبّ النساء».

فليس أمام المرأة إلّا أن تطالب بحقّها كما حمله القرآن اليها، وتلتزم بواجبها كما حدّده القرآن لها. كأُم وبنت وزوجة. وفرد له حقّ الولاء والحبّ في المجتمع، يوظّف طاقته الفكرية والنفسية والجسدية في مواطن الخير والطّهر والصّلاح. بعد أن جرّبت مرارة العيش في متاهات الحياة الغريزيّة المبتذلة، في عالم الحضارة الماديّة المنهار.

الفهرس